دور إيران في الأزمة السورية



أسامة عبد الرحمن

مقدمة

منذ اندلاع الثورة السورية في مارس 2011، مارست جامعة الدول العربية والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي مختلف أنواع الضغط على بشار عبر مجلس وزراء الخارجية العرب ومجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة ولم تنجح هذه الجهود في وقف حمام الدم، بسبب الموقف الروسي والصيني المشترك الداعم لبشار،واستعمال حقّ النقض تكراراً من أجل تعطيل عدة قرارات دولية تقضي بإدانة استعمال النظام للقوة العسكرية المفرطة لسحق الثورة وبسبب دعم إيران الغير محدود له ويثير تصرف ايران بتقديم الدعم الدبلوماسي والعسكري لبشار مجموعة من الأسئلة حول أسباب ودوافع استمرار إيران في هذه السياسة وما هي الأهداف التي ترجو طهران تحقيقها في سوريا، ومن خلالها؟ وإلى متى يمكن أن تستمرّ في موقفها المتعارض مع الإرادة الدولية والعربية؟وما هي دوافع التعنّت الايراني؟ هل تنبع هذه الدوافع من مصالح استراتيجية واضحة أم أنها وليدة رغبة فى إعادة مجد الامبراطورية الفارسية التليد؟0

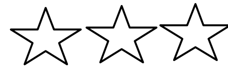
بدأت الأزمة السورية عام 2011 باحتجاجات ضد حكم الأسد، وتحولت إلى حرب أهلية أدت إلى مقتل ما يقرب من ربع مليون شخص، وأجبرت ما يقرب من 12-15 مليون سوري على مغادرة منازلهم وفر مئات

الآلاف كلاجئين ولم تقف إيران متفرجة بل دخلت على خط المواجهة منذ بدايتها بصورة غير مباشرة مع حلفائها الآخرين، وبدا ذلك بوضوح مؤخراً وبنفي ايرانى حيث تبرر تواجدها بمعاونة بشار وفقاً لاتفاقيات تعاون ضد الارهاب لكنها أرسلت قوات من الحرس الثورى وكتائب فيلق القدس القذرة المعروفة بحمامات الدم التى تسيلها وتقف على خط المواجهة مع المعارضة بفصائلها المختلفة وضد الجيش الحر وترتكب مذابح بشعه ضد المدنيين العزل كما أنها تتصدر المشهد الدولى كوكيل عن بشار فى المفاوضات الدولية وهذا يدفع نحو تأكيد شكوك الرغبة الايرانية فى إعادة المجد الفارسى على حساب أهل السنة وعلى حساب الأراضى العربية كما انها ترفض ازاحة بشار وبعد ضغوط غير عادية أعلن بعض سياسيوها انهم قد يقبلوا ازاحة بشار بشرط عدم ازاحة النظام أى رأس النظام فقط كما حدث فى مصر وتظل سوريا العميقة كما هى وهذا ما ترفضه أمريكا والثوار الذين يؤكدون دوماً على رغبتهم فى إزاحة النظام كاملاً بذيوله كلها وفى الصفحات القليلة القادمة نبين دور إيران فى سوريا وأهدافها من التواجد هناك 0

أسامة عبد الرحمن

الباب الأول

العلاقات الايرانية السورية



العلاقات الايرانية السورية من 1979

تعود العلاقات السورية الإيرانية الراهنة إلى عام 1979، وهو العام الذي تأسست فيه الجمهورية الإسلامية في إيران على يد الخميني أما منظر هذه العلاقات، وواضع فلسفتها فهو محمد حسين منتظري مؤسس الحرس الثوري الإيراني وكان محمد منتظري أحد الكوادر التي عملت تحت ظلال الخميني حين كان في منفاه بالعراق، وكان تلميذ نجيب له.

وقبل انتصار الثورة الإيرانية، مثل منتظري الابن همزة الوصل بين الخميني وعدد من القوى السياسية في الساحة العربية، بينها حركة التحرر الوطني الفلسطيني فتح وكانت لدى منتظري رؤية مفادها أن الثورة الإيرانية الوليدة لا يُمكن أن تقف على قدميها إلا بالارتكاز إلى منظومة وثيقة من التحالفات مع كافة القوى التي تشاركها الأهداف الأساسية، وأن هذه التحالفات تُعد جزءاً من الثورة ذاتها وكانت لدى هذا السياسي الشاب جملة يرددها على نحو دائم تقول: ثورة مستمرة لا دولة مستقرة وتحرك منتظري الابن لوضع اللبنات الأولى لعلاقات إيران مع عدد من الدول الموصوفة حينها بالراديكالية في الوطن العربي، بما في ذلك سوريا وليبيا واليمن الجنوبي، فضلا عن حركة فتح وكان يحظى في تحركه بدعم من الخميني وبقية القادة التاريخيين للثورة الإيرانية، مثل

المرشد الحالي آية الله علي خامنئي، والرئيس الأسبق الشيخ هاشمي رفسنجاني.

كان لموقع سوريا الإستراتيجي في الشرق الأوسط إيحاءاته الخاصة في حسابات طهران فتقاطرت الوفود الإيرانية على دمشق طارحة الكثير من التصوّرات الداعية إلى إقامة روابط خاصة ومتقدمة، بعد أسابيع فقط من انتصار الثورة الإيرانية وكانت تلك البداية وفي ذلك الوقت أثير نقاش حول تعريف العلاقة المميزة أو الخاصة التي يُمكن إقامتها بين سوريا وإيران وانطلق قطار العلاقات السورية الإيرانية بسرعة عاتية وفي سبتمبر عام 1980، اندلعت الحرب العراقية الإيرانية، لتفرض تحدياً غير محسوب على هذه العلاقات.

يومها، كانت العلاقة بين دمشق وبغداد قد عادت لنقطة الصفر، أو قريباً من ذلك، حيث أطاح النائب صدام حسين، بالرئيس أحمد حسن البكر، وقام بعملية تصفية شملت كوادر كبرى فى حزب البعث الحاكم في العراق، بينها الوزيران محمد عايش وعدنان حسين.

تدهورت العلاقات بين القطرين بوتيرة متسارعة وبدت الظروف ضاغطة بشدة على السياسة السورية في الكثير من المحاور والجبهات وصارت الحرب العراقية الإيرانية تلقي بظلها الثقيل والخطر على هذه

السياسة وجاء الإيرانيون إلى دمشق، وفداً بعد آخر، يشرحون تطوّرات الأحداث ومقدماتها، وسياقها السياسي، لكنهم لم يطلبوا دعماً أو عوناً عسكرياً، لإدراكهم حساسية الموقف وخطورته.

لقد فوجئ الإيرانيون بإعلان سوريا نيتها المشاركة في حرب الخليج الثانية، واعتقدوا للحظة أن علاقتهم بها سوف تنهار أو تنكمش، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث وفي عام 1991، صدر إعلان دمشق الذي قضى في أحد بنوده بمرابطة قوات سورية ومصرية في الخليج وما إن تناهى إلى مسامع الإيرانيين نبأ هذا الإعلان حتى استشاطوا غضبا، ونددوا بما حدث، وأرسلوا وفودهم إلى كل حدب وصوب.

بعض هذه الوفود سمع من السوريين قولا بدد قسطا من هواجسه، فما كان منه إلا أن قابلهم بالقول إن الغضب والاعتراض على إعلان دمشق لا يرتبط بالسياسة السورية، بل المصرية.

وعند هذه النقطة انتهت زوبعة إعلان دمشق في شقها المرتبط بالعلاقات الإيرانية السورية، كما أن هذا الإعلان نفسه لم يُعمر سوى برهة من الوقت واعتباراً من مطلع التسعينيات، بدأت العلاقات الإيرانية السورية تتجه نحو مرحلة جديدة، متأثرة بطيف عريض من تحولات البيئة الجيوسياسية الإقليمية والدولية أول هذه التحولات، انهيار الاتحاد

السوفييتي، حيث خسرت سوريا حليفها التاريخي، الذي ارتكزت عليه في مشروعها الأمني والاقتصادي وفي الوقت ذاته، أدى سقوط الاتحاد السوفييتي، إلى تقليص هامش المناورة السياسية أمام إيران، وجعلها أكثر إحساساً بالضغوط الغربية.

ثاني التحولات، تجسد في حرب الخليج الثانية، وما تبعها من انتشار عسكري أمريكي واسع في منطقة الخليج العربي، رأت فيه إيران تهديداً كبيراً لأمنها القومي.

ثالث التحولات، تجسد في الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 وقد وضع هذا الحدث كلا من سوريا وإيران على فوهة بركان وكانت الدولتان هدفاً ، وفق ما تقوله الآن المذكرات والوثائق المتداولة وعلى الرغم من أن سوريا وإيران تبنتا طريقين مختلفين للتعامل مع الغزو الأمريكي للعراق، إلا أنهما اشتركتا في الشعور بالخطر المحدق، غير الافتراضي أو بعيد المدى فتسارعت وتيرة التعاون السوري الإيراني، واتسع نطاقه، ليشمل جملة عريضة من القضايا الثنائية والإقليمية.

وفي هذا الإطار برز التعاون العسكري، الفني والتقني بين الدولتين، خاصة على صعيد الصناعات الصاروخية وتشير التقارير الغربية والإسرائيلية المتاحة إلى أن هذا التعاون قد بدأ فعلياً بدعم سوري

للبرامج الإيرانية الناشئة، قبل أن تصبح إيران داعما رئيسيا للتصنيع العسكري السوري عامة، والصاروخي خاصة وارتدى هذا التعاون مدلولا جيوسياسيا، مع الدعم الإيراني السوري المشترك لحزب الله في لبنان، حيث نقلت سوريا عمليا تجربتها الصاروخية للحزب.

الأطماع الإيرانية فى المنطقة العربية

ملامح المشروع الإيراني في المنطقة العربية، ليست غريبة لمن يقرأ التاريخ جيداً، الدولة الصفوية إبان عهد الشاه إسماعيل كانت لها محاولات للسيطرة على منطقة الخليج والعراق أيضاً، لكن الدولة العثمانية حافظت على الهوية السنية لدول المنطقة في تلك الحقبة، فيما تعاونت الدولة الصفوية مع كل من يهدد أمن المنطقة كالبرتغاليين والإنجليز، وكان الشاه إسماعيل يردد آنذاك سأمدكم بما تحتاجون يقول الدكتور أنور عشقي أن المشروع الإيراني واضح في رؤيته الهادفة إلى بسط نفوذه على الخليج العربي، وتحديداً منذ الثورة الإيرانية في نهاية السبعينات، فالمشروع الفارسي دعمته أمريكا إبان وجود الشاه، ليكون الحاجز الأول أمام الاتحاد السوفياتي آنذاك، وكان للشاه حينها مشروع توسعي نحو دول الخليج، وهو ما رفضته الدول الكبرى في حينه، ومنعوه فلم يمتنع، إذ كانوا يخشون من سيطرته على نفط المنطقة، وما لبث الأمريكيون أن اتجهوا إلى إبعاد الشاه ودعم الجماعات الإسلامية،

ووقتها لم يكونوا يفرقون بين الشيعة والسنة، ووجدت حكومة الرئيس كارتر أن وجود دولة إسلامية في آسيا إلى جانب أفغانستان سيصيب الاتحاد السوفياتي في مقتل، وهو ما يتحقق بحسب رأيهم في إيران، لكن كارتر فوجئ بطموحاتهم التي لا تنسجم معه.

يرضي أن إيران توثق علاقاتها الدولية مع كل الدول الكبرى في سبيل تحقيق أهدافها في المنطقة، مشيراً إلى أن هذا النهج بدأ منذ تأسيس الدولة الصفوية واستمر حتى الآن، ولا فرق بين الإصلاحي والمتشدد في القيادة الإيرانية تجاه المشروع المخطط له، واكتساب دور إقليمي ودولي إذ انها ترغب في مشاركة الدول العظمى في تحديد السياسة الإقليمية في المنطقة، عبر وسائل عدة، كالادعاء أن إيران تسعى إلى الوقوف أمام مشروع غربي ساع إلى السيطرة على المنطقة والإضرار بهويتها الإسلامية، وللأسف بعض المتابعين من السُنّة صدّق هذه الادعاءات0

ويقول الدكتور أنور عشقي: إيران جارة، نشترك معها في بعض الأمور، وكنا نتمنى أن تكون جزءاً فاعلاً في الأمة الإسلامية، لكن مشروعها يمنعها من ذلك، إذ لديها رغبة في إعادة المجد الفارسي، وطموحاتها أكبر من قدراتها، وهـذا ما يسبب لها أزمة سياسية.

يصعب عليها أن تكون دولة عظمى بسبب قدراتها المحدودة، وفي إمكانها فقط أن تكون دولة فاعلة على مستوى المنطقة، شريطة أن تمد يدها إلى دول الجوار، لكنها حرصت على تصدير الثورة بهدف السيطرة على المنابر الدينية العربية، بتوجيهات الخميني آنذاك وكانت بريطانيا منحت ايران الكثير من المدن العربية على شواطئها، وتحديداً عام 1929، وهو ما سمح للإيرانيين بتغيير هوية الكثير من المدن العربية في إيران.

إيران دخلت في حرب مع العراق لثمانية أعوام، وخسرت فيها الكثير رغم المال والجيوش والدعم من بعض الدول العربية التي لا تحب صدام حسين، ورغم دعمها الشعارات العقائدية، لكن الشعب العراقي العربي العظيم نجح في التصدي لأهداف إيران التوسعية، التي تناست أن ثورتها متخّلفة، ولا يمكنها أن تعيش في العصر الحالي، ولا تملك رؤية حديثة، في ظل ترديدها لشعارات دينية غير صحيحة .

سوريا والمشروع الصفوي الإيراني

منذ قيام ثورة إيران 1979م، كان على رأس أولويَّاتها مبدأ تصدير الثورة الإسلامية إلى جميع الدول المجاورة لها أوَّلاً؛ لأن الخطر الذي يواجِههم من الحُكَّام الوهَّابيين وذَوِي الأصول السُّنية على حدِّ تعبيرهم

أكبر بكثيرٍ من الخطر الذي يواجههم من الشرق والغرب؛ يقول صباح الموسوي رئيس المكتب السياسي لحزب النهضة العربي الأحوازي ومع انتصار ثورة الشعب الإيرانيَّ ضد نظام الحُكم البهلوي، وقيام ما يسمَّى بالنظام الجمهوري الإسلامي، تبنَّى قادة هذا النظام مشروع تصدير الثورة لإسقاط الأنظمة السُّنية؛ لهذا تَمَّ إنشاء العديد من الأحزاب والحركات السياسية الشيعيَّة في عددٍ من البلدان الإسلاميَّة؛ بُغية خلخلة وضْعها الأمني، وتهيئة الظروف لإسقاط أنْظِمتها، وتحقيق حُلم إعادة إمبراطورية فارس تحت عباءة التشيُّع وتَمَّ بالفعل وضْع مُخَططات لتحقيق هذا الغرض؛ من أجل زيادة نفوذ إيران الخارجي وقد حدَّدوا ثلاثة أُسس؛ لتثبيت أركان الدولة:

الأول: القوة التي تَملكها السلطة الحاكمة.

الثاني: العلم والمعرفة عند العلماء والباحثين.

الثالث: الاقتصاد المتمركز في أيدي أصحاب رؤوس الأموال.

وتحقيق ذلك يتم في اتجاهين متضادين: اتجاه إضعاف هذه الأُسس في هذه الدول، مقابل تقويتها في صالحهم.

ونجد وسائل تنفيذ ذلك تتنوَّع بين طرق اجتماعيَّة وثقافيَّة، ودينيَّة وسياسيَّة، واقتصادية وإعلاميَّة، وغير ذلك، بل وعسكريَّة واستخباراتيَّة وجاسوسيَّة، وعمليَّات سريَّة، وما أشْبَه ذلك، ووسائلهم لتنفيذ مُخططاتهم متنوعة، حتى قال عنها الخبير بهم عبدالعزيز شاه ولي الله الدهلوي بأنها: كثيرة جدًّا، لا تدري اليهود بعُشرها.

وفي النهاية هو مشروع صفوي إيراني رافضي، يمتدُّ من إيران فالخليج، فالعراق، فسوريا ولبنان وفلسطين، ولا تبعد الدول المحيطة بهذا الهلال عن المُخطط، طالَما كانت تنتسب إلى الإسلام السُّني من جهة، ومن جهة أخرى، فهي تمثِّل عُمقًا إستراتيجيًّا يَحفظ لهم هذا الهلال فلا جَرَمَ أن تُصبح لبنان وهي تقع في الطرف الغربي لهذا الهلال، وفي وقتٍ مُبكر جدًّا حتى قبل قيام الثورة مرتعًا للوجود الإيراني، بَدءًا من تأسيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان 1969م، ومرورًا بحركة أمل الشيعيَّة 1973م، إلى حزب الله، الذي يشكِّل ذراع إيران في لبنان إلى الآن، بل يشكِّل أكثر من ذلك؛ يقول فخر روحاني سفير إيران السابق في لبنان في مقابلة مع صحيفة إطلاعات الإيرانيَّة لبنان يُشبه الآن إيران عام 1977م، ولو نُراقب ونعمل بدقة وصبْرٍ، فإنه إن شاء الله سيجيء إلى أحضاننا، وعندما يأتي لبنان إلى أحضان الجمهورية الإسلاميَّة، فسوف يتَّبعه الباقون.

وفي تصريح آخر لصحيفة النهار اللبنانية، قال: لبنان يشكِّل خير أملٍ لتصدير الثورة الإسلامية أمَّا حزب الله، فيقول إبراهيم أمين أحد قادة الحزب: نحن لا نقول: إننا جزءٌ من إيران، نحن إيران في لبنان ومما جاء في البيان التأسيسي لحزب الله، فى شهر فبراير عام 1985م أنه: يَلتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة، تتجسَّد في ولاية الفقيه، وفي الخميني، كما أنَّ حسن نصر الله الأمين الحالي لحزب الله يُعَدُّ الوكيل الشرعي للخميني في لبنان ، بل إنَّ جميع تحرُّكات حزب الله محكومة بالمصالح الإيرانية فقط، وفي ذلك يقول حسين شريعة مداري أحد كبار مساعدي خامنئي: إنَّ حزب الله لا يُقاتل من أجل السُّجناء، أو مزارع شِبْعا، أو حتى القضايا العربية أيًّا كانت، وإنما من أجْل إيران.

ومن أجل ذلك عَمَدت إيران أثناء الوجود السوري في لبنان إلى جعْل حزب الله اللاعب الرئيسي في منطقة الجنوب، وهو ما صرَّح به الشيخ إبراهيم المصري، نائب أمير الجماعة الإسلامية في لبنان والهدف من ذلك،كشَفه صبحي الطفيلي، الأمين السابق لحزب الله؛ حيث قال: ما يؤلِمني أنَّ المقاومة تَقِف الآن حارس حدود للمستوطنات الإسرائيليَّة، ومَن يحاول القيام بأيٍّ عمل ضد الإسرائيليين، يُلقون القبض عليه، ويُسام أنواع التعذيب في السجون وسوريا لَم تَغِب أبدًا عن المشهد، فمنذ وفاة عبدالناصر احْتَدَم الخلاف بين سوريا والعراق، ومِن ثَمَّ أقامَت

سوريا تحالُفات ومصالح سياسية واقتصادية مع إيران؛ لتطويق العراق، وتحجيم قُدراته السياسية، ومن جهة أخرى فإن الحضور الإيراني في لبنان يستتبع توطيد العلاقات مع إيران؛ حيث إن سوريا تنظر إلى لبنان باعتبارها شأْنًا محليًّا، وبعد الثورة الإيرانية تحوَّلت علاقات المصالح إلى تحالُف إستراتيجي وثيقٍ قائم على التوازنات الإقليمية، بدأتْه سوريا بتأييد إيران، والوقوف إلى جانبها في حربها ضد العراق وإن تَخَلَّلها خلال فترة حُكم حافظ الأسد بعضُ التضارب في المصالح والصراع على النفوذ، ووَصَلت الذِّروة خلال ما سُمِّي حرب الأشقاء في لبنان،والتي تَقاتَل فيها الفصيلان الشيعيان: حركة أمل المؤيَّدة من سوريا، وحزب الله المؤيَّد من إيران؛ حيث إنَّ ظهور حزب الله كان إيذانًا بخروج الشأن اللبناني من الهيمنة السورية المطلقة إلى الهيمنة السورية النسبيَّة بسبب النفوذ الإيراني، وطوال فترة الثمانينيات كانت صورة التحالُف الإيراني السوري تبدو كتحالُف بحكم الأمر الواقع، في حين شرَع كلُّ طرفٍ في تنويع علاقاته الإقليميَّة.

كان القاسم الأكبر بين دمشق وطهران متمثلاً في الاتفاق على إبقاء المقاومة اللبنانيَّة وسلاحها كورقة ردْعٍ ضد إسرائيل، ولكنَّ أدْوَار كلٍّ من طرَفي التحالف في لبنان بدأَت تتعدَّل لمصلحة إيران التي صارَت شريكًا فعليًّا لدمشق هناك وفي التسعينيات وبعد حرب الخليج الثانية، ارتفَع

الحضور الإقليمي لإيران، وحصَل بعدها اختلاف؛ نتيجة انخراط سوريا في عملية السلام مع إسرائيل، وكانت إيران تُعارِض ذلك، ولَم تُبدِ له أيَّ ترحيب، كما تراجَع الحضور السوري بشدَّة في لبنان في صالح إيران، ولَم تَعُد سوريا اللاعب الوحيد فيه، ولا سيَّما بعد تدخُّل دول أخرى، مثل: السعودية، وأصبَحَت سوريا بالنسبة لإيران طرفًاً أساسيًّا في الصراع العربي- الإسرائيلي، مع إبراز دعم إيران المعنوي والسياسي والاقتصادي في مواجهة إسرائيل، وبهذا استمرَّت سوريا كشَريك أساسي لإيران في الشرق الأوسط، رغم التراجُع النسبي لأهميَّتها لدى السياسة الخارجية الإيرانيَّة.

وفي الألفيَّة الجديدة، تراجَعت المصالح المشتركة بين سوريا وإيران، وازدادَت الهُوَّة اتساعاً، ابتداءً من الاحتلال الأمريكي لأفغانستان، وتَعاون طهران مع القوات الأمريكية لوجستيًّا ومعلوماتيًّا؛ ليجعل إيران شريكًا معترفًا به أمريكيًّا؛ لتقرير مستقبل أفغانستان، وهو ما رسَّخ دور إيران الإقليمي، ودون تأثير إيجابي يُذكر لصالح سوريا، ثم جاء احتلال العراق 2003 ليَقلِب التوازنات في المنطقة رأسًا على عقب، وليُبرز تناقضات حتى في التحالف الإيراني - السوري.

احتلَّت القوات الأمريكية العراق عسكريًّا، وتحكَّمت إيران عبر الحلفاء في بغداد بمقادير السياسة العراقية لأوَّل مرة في التاريخ الحديث، فبعد

سقوط صدام حسين، وسقوط العراق في المستنقع الأمريكي - الإيراني، بدا الأمر وكأن سوريا قد استنفدَت غرَضها من علاقتها مع إيران بانتهاء نظام صدام حسين، وعبَّر عن ذلك عبدالحليم خدام النائب السابق للرئيس السوري بشار الأسد، وذلك بعد أن قطَع الصِّلة مع النظام القائم، ودعا للانقلاب عليه بقوله: في الماضي كان هناك تحالف إستراتيجي، وكان لسوريا مصالح ولإيران مصالح، وكانت نقطة الالتقاء الأساسية لهذا التحالف صدام حسين، لكن الأمور تحوَّلت بعد ذلك نتيجة غياب نقطة الالتقاء الأساسية، وضَعْف سوريا التي لَم يَعُد لَدَيها أيُّ إستراتيجية.

وهكذا تراجَع الدور السوري الإستراتيجي في المنطقة، وازْدَاد الدور الإيراني، ففي الوقت الذي تعرَّضت فيه دمشق لضغط أمريكي كبير في مسألة العراق بزعم أنها تفتح حدودَها لعمليات المقاومة ضد الاحتلال، كانتْ إيران بمنأًى عن الانتقاد؛ لأن حُكام بغداد الجُدد حَرَصوا على البقاء في مربَّع المصالح الأمريكية الإيرانية، وبهذا استثمرَت إيران الفرصة السانحة في العراق - بالإضافة إلى أدوات سياستها الخارجية التقليدية، مثل: التحالف مع النظام السياسي في سوريا وحزب الله في لبنان لفرْض نفوذ إقليمي غير مسبوق يمتدُّ من حدودها الغربية، مرورًا بالعراق وسوريا وجنوب لبنان، ليصل إلى الجليل الأعلى.

وهكذا ولأوَّل مرَّة في تاريخ التحالف الإيراني - السوري، يخرج أحد الطرفين بمكسبٍ إستراتيجي ، في حين يخرج الطرف الآخر بخسارة إستراتيجية صافية، ولَم تتوقَّف الخسائر السورية عند هذا الحد فقط، بل أظْهَرَت الأحداث في لبنان تهديدات مُبْطَنَة لدور سوريا الإقليمي؛ بسبب صدور القرار الدولي 1559 الذي يُطالب سوريا بسحْب قوَّاتها من لبنان، وبنزع سلاح الميليشيَّات المسلحة من هناك، وفي حين اقتَرَبت التهديدات من سوريا أكثر، فقد كانت إيران تتعامَل باسترخاء مع القرار الجديد لعدة أسباب الأول: أنَّ متاخمتها لكلٍّ من أفغانستان والعراق، ودورها الإقليمي فيهما، وضَع أوراقًا ممتازة للضغط بيدها.

الثاني: أنَّ حليفها اللبناني حزب الله قد فرَض حضوره الطاغي على الساحة السياسية والعسكرية، ونزْع سلاحه رغم القرار بدا أمرًا مستبعدًا.

والأمر الثالث: أنَّ التوافق الإيراني - السعودي في لبنان عبر الحلفاء المحليين، لَم يَعُد يرتبط بالضرورة بالدور السوري كَحَكَم بين الفُرقاء.

والسبب الرابع: يتعلَّق بحليف إيران الذي يمثِّل الشطر الأعظم لطائفة لبنانية كبرى، في حين لا تَملك سوريا مثل هذا الحليف هناك، وهو الشرط الأساس للاستمرار في اللعبة السياسية.

وفي بداية عام 2005 جاء الانفجار اللبناني الكبير،المتمثِّل في اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري، ليَقلِب الوضع في لبنان وسوريا رأسًا على عقب، وتوالَت الضغوط الدولية والعربية على سوريا؛ من أجْل سحْب قوَّاتها من لبنان، وهو ما حدَث بالفعل، ومثَّل الانسحاب السوري من لبنان أقصى مُنحدر يَبلغه النفوذ السوري هناك منذ عقود، أمَّا إيران فلم يتأثَّر وجودها ونفوذها في لبنان بالانسحاب السوري؛ إذ إن حليفها الأساسي في لبنان حزب الله، كان في موقع الطرف العسكري الأول، ويرتبط عضويًّا ومرجعيًّا بعلاقات تحالُف معها ليستْ محكومة بسقف السياسة، بل بسَقْف أعلى بكثيرٍ هو سقف القيادة الدينية مُمثلة في المرشد الأعلى للثورة علي خامنئي، وبالعكس مما يبدو في الظاهر، كان الانسحاب السوري مفيداً لإيران من زاوية أن الجيش السوري الموجود في لبنان كان الطرف الوحيد القادر نظريًّا على نزْع سلاح حزب الله في حال حدوث توافُق إقليمي ودولي حول هذا الموضوع0

فعلى مدار هذا التاريخ نجد أنَّ اللاعب الأساسي في العلاقات بين البلدين هو إيران، وأن سوريا لا تمثِّل أكثر من حليف إستراتيجي يجب أن يكون بجانبك طوال الوقت؛ حيث لا تستطيع أن تستغني عنه، بل إنَّ الهدف أن يَصير طوع يديك على غرار حزب الله في لبنان، والآن وبعد الثورات العربيَّة والثورة السورية، وصولاً إلى هذه المرحلة الحَرِجة

فيها، هل تستطيع إيران أن تتخلَّى عن حليفها السوري المتمثِّل في نظامه العَلَوي؟0

ومن تَحالُفات مصالح سياسيَّة واقتصاديَّة مع إيران، إلى تحالُفٍ إستراتيجي وَثِيق قائم على التَّوازُنات الإقليميَّة، إلى ارتِفاع الحضور الإقليمي لإيران والتَّراجُع النسبي لسوريا لدى السياسة الخارجيَّة الإيرانيَّة.

وازدادَتِ الهوَّة اتِّساعًا، ابتِداءً من الاحتِلال الأمريكيِّ لأفغانستان، ثم احتلال العراق 2003 ليقلب التَّوازُنات في المنطقة رأسًا على عَقِبٍ، وليبرز تَناقُضات حتى في التَّحالُف الإيراني - السوري، فبعد سُقوط صدَّام حسين، وسُقوط العراق في المستنقَع الأمريكي - الإيراني، بدَا الأمر وكأنَّ سوريا قد استَنفَدتْ غرضها من علاقتها مع إيران بانتِهاء نِظام صدَّام حسين، وعبَّر عن ذلك عبدالحليم خدام النائب السابق للرئيس السوري بشار الأسد - وذلك بعد أنْ قطَع الصِّلة مع النِّظام القائم، ودعا للانقِلاب عليه - بقوله: في الماضي كان هُناك تحالفٌ إستراتيجيٌّ، وكان لسوريا مَصالِحُ ولإيران مَصالِحُ، وكانت نُقطة الالتِقاء الأساسيَّة لهذا التحالُف صدَّام حسين، لكنَّ الأمور تحوَّلت بعدَ ذلك نتيجةَ غيابِ نُقطةِ الالتِقاء الأساسيَّة، وضعْف سوريا التي لم يَعُدْ لديها أيُّ إستراتيجيَّة، وهكذا تَراجَعَ الدَّوْرُ السوري الإستراتيجيُّ بالمنطقة، وفي المقابل تَزايَد

الدَّوْرُ الإيراني، مُرورًا بعام 2005 والانفجار اللبناني الكبير والمتمثِّل في اغتِيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري، فتَزداد الأمورُ تعقيدًا لسوريا، ثم سحب قوَّاتها من لبنان، والذي مثَّل أقصى مُنحَدرٍ يبلغه النُّفوذ السوري هناك منذُ عُقودٍ، وعلى الجانب الآخَر كان الانسِحاب السوري مفيدًا لإيران من زاوية أنَّ الجيش السوري الموجود في لبنان كان الطَّرَفَ الوحيد القادر - نظريًّا - على نزْع سِلاح حزب الله في حال حُدوث تَوافُقٍ إقليمي ودولي حول هذا الموضوع.

وإذا كان الأمر في النهاية يتعلَّق بمشروعٍ صفوي إيراني رافضي يمتدُّ من إيران فالخليج فالعراق فسوريا ولبنان وفلسطين، فإنَّه مع وُصول الرئيس محمود أحمدي نجاد للسُّلطة تطوَّر هذا المشروع، مع الإعلان عن السِّياسات العامَّة للخطَّة التنمويَّة الخامسة، وقد تَمَّ إعلان هذه السِّياسات العامَّة ضِمنَ إطار مِيثاق أفق العشرين عامًا (الأفق العشريني) وبمحوريَّة التقدُّم والعدالة، وتتضمَّن السياسات العامَّة للخطَّة التنمويَّة الخامسة 45 بندًا تتوزَّع على فُصول: الشُّؤون الثقافيَّة، الشُّؤون العلميَّة والتقنيَّة، الشُّؤون الاجتماعيَّة، الشُّؤون الاقتصاديَّة، الشُّؤون السياسيَّة، الشُّؤون الدِّفاعيَّة والأمنيَّة.

وهذه الخطَّة استَهدفَتْ أنْ تكون إيران بِحُلول عام 2025 في المركز الأوَّل اقتصاديًّا وعلميًّا وتقنيًّا على الصعيد الإقليمي، وتَمَّ تحديدُ مفهوم

هذا الإقليم بأنَّه منطقة جنوب غرب آسيا، التي تشمَلُ كلاًّ من آسيا الوسطى والقوقاز، والشرق الأوسط ودول الجواروعندما ناقشَت صحيفة كيهان الناطقة باسم مرشد الثورة الإيرانيَّة الخطَّة المذكورة من خِلال مقالةٍ نشرَتْها، أشارَتْ إلى أنَّ الأولويَّة الأولى لإيران في تلك المنطقة هي للخليج الذي وصفَتْه بالفارسي لأسبابٍ تتعلَّق بالنِّفط، وبالموقع الإستراتيجي ، وبأنَّ أغلبيَّة سكَّان الدول المطلَّة عليه تتحدَّث بالفارسيَّة ومذهبها شِيعي، واعتبرت أنَّ هذا الأمر من شأنه أنْ يُعمِّق من نُفوذ إيران في المنطقة، خاصَّة أنَّ نجاح نموذج الديمقراطيَّة الدينيَّة كنموذجٍ محلي ودِيني في العِراق سيكون مُبشِّرًا بنُفوذٍ مَعنوي مُتَزايِد لإيران في هذا النِّظام.

أمَّا فيما يخصُّ الشرق الأوسط ، فقد جعلَتْه يأتي في الأولويَّة الثانية في إطار منطقة جنوب غرب آسيا؛ بسبب سياسة التوسُّع الصِّهيَوْنيَّة، وتهديد مَصالح إيران؛ حيث يتعارَضُ هنا المشروعُ الصَّفوي مع المشروع الصِّهيَوْني اليهودي الأمريكي في المطامع النِّفطيَّة والإستراتيجيَّة فى الخليج، وكذلك بسبب وُجود الحزام الذهبي لإيران والعراق وسوريا ولبنان، وهو في الواقع نوعٌ من الائتِلاف المذهبي السياسي والاقتصادي والإستراتيجي، حيث يتعارَضُ هنا المشروع الصَّفوي مع المشروع الصِّهيَوْني اليهودي، بل يتعارضان، ولأنَّ دعْم

إيران للبنان وفلسطين يزيدُ من نُفوذ إيران في المنطقة، وأخيراً لأنَّ قَضايا الإرهاب والتسلح أدَّت إلى احتِدام التنافُس الإقليمي مثْل هذا التفوُّق المطلوب لإيران بعدَ خمسة عشر عاماً من الآن حسَب الوثيقة، والمؤسس على قاعدةٍ قوميَّة مذهبيَّة وفْق مقالة كيهان؛ يعني: أنْ تشتبك إيران مع الوطن العربي عبْر دائرتين أساسيَّتين: دائرة الخليج، ودائرة الشرق الأوسط.

والآن وبعد الثورات العربيَّة، فلا بُدَّ من تغيُّر إستراتيجي في التعامُل مع الدول العربيَّة، بغضِّ النظَر عن كَوْنِ التعامُل الإيراني مع الثورات قد يبدو مُتَناقضًا أم لا، لا سيَّما مصر، التي إذا ما قُدِّر لها أنْ تعودَ إلى موضع الصَّدارة والرِّيادة في قيادة الدول العربيَّة، فإنَّ ذلك ولا شكَّ يُمثِّل تهديدًا قويًّا للمشروع الإيراني، وأمَّا الثورة السوريَّة فتتمثَّل خُطورتها في كَوْنِها تقَع في عُمق إقليم الشرق الأوسط، أو عُمق الحزام الذهبي على حدِّ تعبيرهم.

ولم يكن يضرُّ النظام المستبد العلوي البعثي الأسدي؛ إذ هو بِمَثابة ألعوبة في أيدي إيران، وأمَّا إذا ما تمَّت إزالة هذا النِّظام الموالي، فالخوف من صُعود نظامٍ ليس فقط مُعاديًا للمشروع الإيراني، بل يكون هذا النظام سنيًّا، فنجدُ مخاوف إيرانيَّة من الثورات العربيَّة خاصَّة السوريَّة هنا تُماثِل المخاوف الإسرائيليَّة من هذه الثورات.

ونظَرًا لتعارض المصالح الدوليَّة، ووجود مُؤثِّرات كثيرة في الأرض السوريَّة، فإيران تُمثِّل نوعاً من التوازن وسط هذه العلاقات، أو تُمثِّل متغيراً رئيساً فيها؛ نظراً لعلاقاتها القويَّة بروسيا والصين والهند،وبتركيا وأفغانستان وباكستان وجمهوريَّات وسط آسيا من ناحية، وفي الناحية الأخرى يَقِفُ المؤثِّر الأمريكي، وتقَعُ سوريا في وسط هذا الصِّراع الدولي، الذي سوف يستفيدُ منه النظام السوري بأقصى ما يُمكِنه لإفشال الثورة، والإبقاء على نفسه، والمحافظة على قوَّته الراهنة لاسيَّما وأنَّ هذه الدول جميعًا بالرغم من علاقاتها القويَّة بأمريكا، فإنَّه قد مَضَى عهدُ دولة القُطب الواحد، والهيمنة الأمريكيَّة، فنجد هذه الدول جميعًا تقومُ بدور التوظيف المُتَبادَل لجميع القضايا الدوليَّة؛ بحيث يصبُّ في مصلحتها أولاً، أو تُحقِّق من ورائه مَكاسِبَها الخاصَّة0

ومن هنا نستطيعُ أنْ نفهَمَ تحرُّكات إيران الإقليميَّة والدوليَّة، كما نفهَمُ التحرُّكات الإسرائيليَّة اليهوديَّة، تماماً كما نفهَمُ التحرُّكات الأمريكيَّة، مع التحرُّكات الأوروبيَّة ، فكلٌّ منهم لدَيْه مشروعٌ توسُّعي، إمَّا على نِطاقٍ إقليمي أو على نِطاقٍ دولي.

ونستطيعُ أنْ نفهم التدخُّل السافر الفاجر من إيران حزب الله، ومن حزب الله إيران، والحرس الثوري الإيراني، والجيش الإيراني،

sharif mahmoud

والميليشيات الإيرانيَّة، والإمدادات العسكريَّة واللوجستيَّة والأمنيَّة لتأييد النظام السوري، وقمْع الثورة السوريَّة.

والآنَ يستطيعُ النظام السوري اللعبَ على تقوية وَضْعِه أمام إيران، وإظهار مَكانته الرئيسة في العلاقات بينهما، وأنها ليست من طَرَفٍ واحدٍ كما آلَتْ إليه في مَطلَع الألفيَّة ومُنتَصَفِها، فهي علاقةٌ تَقُوم على مَصالِح إستراتيجيَّة قويَّة، لا يستَغنِي عنها الطَّرفان، والمتوقَّع أنْ تخضَعَ إيران لهذا التصوُّر، فهي بالفعل لا تستطيعُ الاستغناءَ عن سوريا في مشروعها الإقليمي، وكما نقَلَت الواشنطن بوست عن منى يعقوبيان وهي خبيرةٌ سابقة في شُؤون الشرق الأوسط لدى قِسم المعلومات التابع لوزارة الخارجيَّة الأمريكية قولها: إنَّ سوريا تُعَدُّ أهم بوَّابةٍ للعالم العربي بالنسبة لإيران، وخط مُواجَهة مع إسرائيل وإذا ما خَسِرَ الإيرانيُّون النِّظام السوري، فإنَّ ذلك سيُشكِّل نكسةً كبيرة لطهران، فإيران في أشدِّ الحاجة اليومَ إلى سوريا، خاصَّة بعد هذه الثورات العربيَّة، التي كانت أنظِمَتُها في تَحالُفٍ قويٍّ مع الولايات المتحدة_الأمريكيَّة، ومهما يكنْ من أمرٍ فلا بُدَّ من الأخْذ في الاعتِبار أنَّ النَّظرة الإيرانيَّة على عكس النظرة السوريَّة ليست بناءً على المصالح لكن على الاحتواء التام المطلق، بحيث يصبح التدخل الإيراني في سوريا كما هو في لبنان، وهو ما لم يتمَّ لها بعدُ.

أهداف ودوافع إيران في سوريا

لا شك أن الحربَ الأهلية في سوريا بين الجيش السوري الحرِّ ونظام بشار الأسد تخطَّت الدائرة العربية والإقليمية إلى المحيط الدولي، فكافة القوى العربية والدولية تحاول البحث عن حلٍّ لتلك الأزمة التي راح ضحيتَها آلافُ السوريين الأبرياء دون ذنب، هذه الحلول تتراوح بين مطالبَ بتسليح المعارضة، أو الضغط على بشار الأسد، والبعض طالَبَ بتشكيل قوات عربية تتولى مهمة تحرير سوريا من قبضة الأسد وتعقيدات الأزمة السورية ترجع إلى عددٍ من العوامل، أبرزها: التدخل الإقليمي الصارخ في الشأن السوري، والدعم الملحوظ الذي يلقاه الأسد من إيران، وروسيا على وجه التحديد، مما يعني أن دمشق تحولت لساحةِ صراع بين القوى الدولية،التي تحاول كلٌّ منها تحقيق مصالحها؛ وَفْقًا لاعتبارات ومحددات سياسية وطائفية وإستراتيجية وقد نشرت مجلة فورين بوليسي الأمريكية مؤخرًا تقريرًا بعنوان ماذا تفعل إيران في سوريا؟،تناوَل الدورَ الإيراني في المشكلة السورية، ومحدداته، ومظاهره وأهدافه.

تُخفي التصريحاتُ الإيرانية رغبةً في التغلغل في التفاوض مع نظام الأسد؛ حتى تحافظ على نفوذها في سوريا بعد رحيله،لاسيما أن تصريحات مسؤوليها تبعث برسالة إلى الغرب، مفادها: أن أي مبادرة

لحل الأزمة السورية لا بد أن تمر عن طريق طهران، باعتبارها تملك أوراقَ اللعبة السياسية في سوريا، وأن أي تجاهل لدور إيران فيها سيؤدي إلى فشل تلك المبادرات.

وفي حين تنفي وزارة الخارجية الإيرانية أيَّ دور عسكري لإيران في سوريا، تؤكد الوقائع على الأرض أن قوة القدس هي المكلَّفة بتمثيل دور إيران هناك، وأنها سوف تلعب دورًا في الفترة الانتقالية التي تشهدها سوريا بعد سقوط نظام الأسد، وهذا التناقض يعكس رغبة الخارجية التي عرَضت التوسُّط بين بشار والمعارضة في الاشتراك في أي مبادرة تفاوض مع الأسد، لكن يبدو أنهم يريدون أن يتولَّى فيلقُ القدس تلك المهمة.

إن تورُّطَ قوات الحرس الثوري الإيراني في الشأن السوري يشير إلى رغبة طهران في الحفاظ على بقاء نظام الأسد بأي طريقة كانت، بالرغم من السمعة السيئة لتلك القوات، خاصة فيلق القدس، الذي اتَّهمتْه دوائرُ عربية وغربية قبل ذلك بالقيام بعمليات مشبوهة، وتصدير الفكر الشيعي في العراق بعد سقوط صدام حسين، كما تورط فيلق القدس في قمع الحركات الكردية الانفصالية في إيران بعد الثورة الإيرانية، وإخماد المُظاهرات المناوئة للنظام الإيراني عامي 2009 و2010.

المؤامرة على سوريا

المؤامرة بمعناها التّاريخي الموضوعي موجودة عبر تّاريخ البشر كله وتعني تخطيط الدّول للسيطرة الكاملة أو الجزئية على دول أخرى فصعود وهبوط كل الإمبراطوريات التي عرفها التّاريخ البشري كان نتيجة عوامل ضعف داخلية،وترصّد الجوار أو فريق معارض من داخل الإمبراطورية للّحظة المناسبة للفوز بالمغانم والسّلطة استمرار قوة وسيطرة دولة يتعلق بمدى ذكاء وحصافة خططها أو مؤامراتها على الآخرين كي يبقوا أضعف منها، فالولايات المتحدة بقيت الأقوى بلا منازع لأنها جهزت نفسها بتخطيط مستقبلي يأخذ كل الاحتمالات الممكنة في العالم، وهذا نوع من التّآمر أيضاً أي أن المنهزم يقول أنها مؤامرة والمنتصر يقول أنها تخطيط ذكي، فالولايات المتحدة تدعي أنها اتبعت استراتيجية ذكية ضد الاتحاد السوفيتي بنموذجه الديكتاتوري اللاإنساني، والسوفييت يعتبرونها مؤامرة ماكرة خبيثة ضد نموذجهم الانساني الراقي، وبين النظرتين تقبع الحقيقة أما الفهم المتطرف حول المؤامرة كأنها قوة خفية عظمى تصوغ التّاريخ، فهو فى الواقع مجرد تبريرات للفشل يمكننا الزّعم أن لا دولة فى العالم تعيش مطمئنة أن ليس هناك دولة ما تتآمر عليها هذه للأسف قوانين السوق التي عاش وفقها البشر آلاف السنين0

sharif mahmoud

اختباء كافة الحكام العرب خلف حجة المؤامرة لتبرير استمرار ديكتاتوريتهم هو نوع من الدّجل واللعب بالمصطلحات والواقع فأن يتحجج الحكم السّوري بعد خمس عقود من حكم البعث وأربعة عقود من حكم عائلة الأسد أن المؤامرة هي السّبب فى تأخير تحسن الحالة السورية وضرورات المعركة تفرض تأجيل ما يراه الدّيكتاتور ترف الدّيمقراطية هو محض موقف انتهازي لمشاعر النّاس تجاه قضاياهم الوطنية والقومية المؤامرة بمعنى طمع الجوار أو العالم فى سوريا بدأ منذ 6000 سنة ولن ينتهي خلال 6000 سنة.

تقوم العلاقات الدّولية على أساس المصالح وليس على أساس الأخلاق والقانون أو الدين والطوائف وحكم الأسد ليس خارج هذا النّطاق ولقد أدركت حكومات الغرب والجوار العربي والإقليمي خاصة بعد انتصار التّونسيين والمصريين، أن الشّعوب لو بدأت فلن تتراجع وكل الدول أعادت حساباتها مع بدء تحرك الشّعب السّوري، وتشاورت معاً من خلال مصالحها فمن الطبيعي والحالة هذه، أن تتحرك كل الدّول خلف مصالحها وتتخذ خندقاً تتعامل به مع الثورة السورية وربما كان من سوء حظ سوريا أنها تقع في أهم منطقة فى العالم حيث لم يحدث بعد فلسطين أن تصارعت مصالح الدّول على دولة صغيرة مثل سوريا فمن الواضح أن الاهتمام الدّولي بسوريا يعود لأهميتها الجيوسياسية حيث:

• تقع شمال إسرائيل ربيبة الغرب المدللة، ومصلحة الغرب ببقاء إسرائيل دولة متحاربة مع جوارها لم تنتهي ومصالح إسرائيل تأتي في المقام الأول في السياسة الغربية وكثيراً ماطالب الكيان الصهيونى أمريكا بتخليصه من أقوى ثلاثة جيوش فى المنطقة العربية وهى العراق وسورية ومصر وقد انتهت العراق كدولة وسوريا تنهك قواها الآن ومصر على الطريق.

• قرب سوريا من منابع النّفط والغاز الأغنى فى العالم في منطقة الخليج العربي والعلاقة التاريخية الوثيقة بين شعوب هذه المنطقة.

• النّظام السّوري يمنح الحكم الإيراني قوة مضاعفة بتحالفه معه فهذا التحالف هو بوابة الحكم الإيراني للمنطقة العربية ولحدود لبنان وإسرائيل مما يمنح إيران أوراقاً إضافية في لعبة تكسير الأصابع بين الحكم الإيراني والنظام الغربي السياسي.

• تشترك سوريا فى المشكلة الكردية المعقدة مع تركيا فرغم الاختلاف بين وضع الأكراد في سوريا ووضعهم في تركيا، إلا أن المشكلة الكردية ما تزال عابرة لحدود هذه الدول والحكومات التركية ترى في المشكلة الكردية أهم مشاكلها وتحدياتها خاصة بعد الغزو الأمريكي للعراق حيث لم تحصل حكومة أردوغان على أي ميزات للتحكم في شكل كردستان

sharif mahmoud

العراق والحكم التركي لا يريد تكرار الخطأ في سوريا، فالقضية الكردية يجب أن لا تفلت من سيطرته.

- **بعد فشل تأسيس دولة مدنية ديمقراطية لا طائفية فى لبنان، ودمار العراق كوطن موحد للعراقيين، وسيطرة المعسكر الغربي الخليجي علي مصر، وبسبب حاجة السوق الغربي لإسرائيل كدولة دينية، ولدول الخليج كدول ملكية ، فنجاح السوريين في التحرر من الديكتاتورية وبناء بلد ديمقراطي مدني مستقل يشكل خطراً حقيقياً على توازن القوى الدولية.**[1]

تكاثر الحديث الإيراني، في الآونة الأخيرة، عن انتصار حققته طهران في سوريا، بل ذهب أحد كبار قادتها وهو رحيم صفوي مستشار المرشد الأعلى خامنئي إلى اعتبار أن حدود بلاده الحقيقية صارت على شواطئ المتوسط عند تخوم الناقورة الفلسطينية، مما يعني ضمناً انضواء العراق وسوريا تحت أجنحة خريطة التمدد تلك.

فهل قادة إيران لاينطقون عن الهوى خاصة أنهم يعنون بدقة حدود جغرافية تمددهم وانتشار قوتهم وسيطرتهم؟ أم إن ذلك لا يعدو كونه

1- الثورة السورية والقوى الدولية ص 61-65

مجرد تقديرات، كي لا نقول تخمينات، بمعطيات ناقصة وغير حقيقية، أو حتى نوعاً من البروبوجندا السياسية اقتضتها ظروف الحرب ومستلزمات التفاوض مع العالم الخارجي؟ بعيداً عن نبرة الاحتفال في الخطاب السياسي الإيراني، ثمة مؤشرات عديدة تؤكد أن القيادة الإيرانية تعتبر نفسها قد انتصرت في سوريا، وتتولد هذه القناعة من جملة من المعطيات استطاعت طهران ترسيخها في الواقع الميداني السوري والشرق الأوسط عموماً ووفق تلك القناعة فإن طهران خلقت واقعاً عسكرياً من الصعب تجاوزه، خاصة بعد أن سيطرت على القلب الإستراتيجي لسوريا الممتد من العاصمة دمشق وحتى الساحل، وتشكل هذه المنطقة بالمعنى الإستراتيجي قلب الشرق الأوسط لأنها على كتلة جغرافية ذات طبيعة جبلية تشرف على القسم الأكبر من الشرق الأوسط، بحيث يصبح لبنان والجزء الحيوي والمأهول من إسرائيل تحت مراقبتها، وحتى بعض أجزاء الجنوب التركي.

إضافة إلى إمكانية عمل كريدور بري يصل العراق عبر ريف حمص الشرقي، الأمر الذي يتيح وجود خريطة متماسكة وصلبة وتتوفر على إمداد لوجستي من طهران حتى صور جنوب لبنان وفي الواقع الجغرافي السوري، تشكل تلك المناطق المشار إليها قلب سوريا، لتحكمها بشبكة خطوط المواصلات بكامل البلاد، ومن ناحية أخرى تشكل الجزء الأكبر

المأهول من سوريا، كما تتمتع بطبيعة جغرافية تسهل التحصن بها من قبل قوات عسكرية منظمة، فضلاً عن إشرافها على مناطق عسكرية داخلية واسعة، وتحويلها بالمعنى العسكري الكلاسيكي إلى مناطق ساقطة حربياً، بالإضافة إلى امتلاك هذه المناطق للمياه، (حوضيْ بردى والعاصي).

وأوجدت إيران خريطة مهشمة هي عبارة عن قطع متناثرة في شمال سوريا وفي جنوبها وشرقها، وهي مناطق إما صارت جزراً معزولة لا تشكل مخاطر حقيقية، وقد يجري قضمها بعد أن يصار إلى إنهاكها بسياسة الحصار والتجويع، وإما هي مخترقة من قبل التنظيمات التي تدعمها طهران فى السر أو تخترقها بطريقة ما.

ولعل الانتصار الأهم بالنسبة لإيران في سوريا يتمثل فى الاختراق الكامل للنظام السياسي السوري نهائيا، وتحويله إلى مجرد كيان إيراني داخلي، مثل أي كيان إداري داخل إيران، حيث تفيد المعلومات -التي لم تعد سرية- بتخصيص حكومة طهران ميزانيةً ثابتة يجري صرفها باسم نظام دمشق، تشمل كل مصروفات تشغيل هذا الكيان بما فيها تصريف الشؤون العادية، ناهيك عن الموازنات الكبيرة للمليشيات المقاتلة، وجيش النظام السوري واحد منها، وكميات الأسلحة والذخائر التي توردها إيران، وطبيعي والحالة كذلك أن يدعي أحد قادة إيران أن سوريا

صارت المحافظة رقم 35 في إيران.

هذا الاختراق الذي حققته طهران، جاء بفضل وجودها العسكري وسيطرتها على الميدان بعد انهيار شبكة سيطرة نظام الأسد على سوريا، إذ بعد عام من الثورة، كانت جميع تشكيلات جيش النظام وأجهزته الأمنية قد تمزقت ووصلت إلى عتبة الانهيار وتجلى ذلك في صيف 2012 عندما بدأت كتائب الثورة تطبق على دمشق، حينها جرت تنحية قيادات النظام عن المشهد وتحويلها إلى مجرد ديكور للتصوير في نهاية المعارك، وأشرفت إيران بنفسها على ترتيب المشهد الميداني في سوريا تخطيطاً وتنفيذاً، حتى إن بعض القطاعات صار محرماً دخولها أو الوجود بها لأي سوري كان بما في ذلك قوات الأسد نفسها، حتى إن حسن نصر الله نفسه أقر بهذه الواقعة بقوله إننا لو لم نتدخل لسقطت دمشق في أسبوع، وكذا تصريحات إيران بأن الأسد باق لأنها أرادت ذلك.

استطاعت إيران ترتيب مشهد آني بقصد توظيفه داخلياً وخارجياً، لكن هذا المشهد يرتكز على معطيات متحركة ولم تستقر بعد، وبالتالي لا يمكن البناء عليه أو أخذه على محمل الجد بالطبع التدخل الإيراني سبق ذلك، وكان موجوداً في كل مراحل الثورة، ذلك أن إيران وبعد شهور قليلة من الثورة بدأت تدرب أعداداً كبيرة من أنصار النظام في معسكرات

إيرانية، ثم أشرفت على إنشاء ما يسمى الجيش الوطني كشكل من أشكال الحرس الثوري (الباسيج).

غير أن هذه الإجراءات لم تحقق المطلوب ولم يتم القضاء على الثورة، مما دفعها إلى النزول بكامل تجهيزاتها العسكرية إلى الميدان، وتولت مسؤولية القطاعات التي تراها أكثر إستراتيجية لحماية النظام، وكانت الخطة في البداية تقضي بوقف انهيار خطوط حماية القلب في دمشق وتثبيت الثوار في مناطقهم كمرحلة أولى، خاصة في دمشق، ثم العمل على تحقيق اختراقات إستراتيجية في مناطق معينة.

وجرى التركيز على الطرق الإستراتيجية وطرق الإمداد بين الساحل ودمشق، وربط مناطق الجسور بين لبنان وسوريا، ونجحت هذه الخطة بسبب سهولة قطع طرق إمداد الثوار، وبالنظر لوجود مناطق لا تعتبر بيئة حاضنة للثوار، إضافة إلى قربها من مناطق حزب الله.

وثمة مؤشر آخر تضيفه إيران إلى حزمة مؤشرات نجاحها في الحيز السوري، وهو واقعة اختراقها للنظام الإقليمي العربي وتهشيمه، بعد إخراج العراق وسوريا من إطاره الجغرافي والبشري، خاصة وأن حربها الطائفية قامت على استبعاد السنة العرب في هذين البلدين، أو في أقل الأحوال تهميشهم وتحويلهم إلى عنصر غير فاعل ومؤثر في مسار الأحداث ومآلاتها النهائية في ظل إعادة صياغة توجهات هذين البلدين

بما يتناسب مع خدمة الأهداف الإستراتيجية الإيرانية الكبرى في المنطقة، أو حتى في إطار تفاعلها مع البيئة الدولية بصراعاتها وتأتي أهمية هذا المتغير فى نظر قادة إيران من كونه يجلعهم طرفاً مقرراً فيما تبقى من النظام الإقليمي العربي، وتمنحهم فرصة إعادة صياغة النظام الإقليمي برمته وتحديد مواقع أطرافه، وهو أمر يعتبر من الأهداف الإستراتيجية الكبرى لطهران، وطالما داعب خيال قادتها.

غير أن الانتصار وفق التصور الإيراني يأتى من حقيقة فرض طهران على العرب الداعمين للثورة السورية خاصة عرب الخليج واقعاً صلباً لا يمكن تجاوزه وفق المعطيات الراهنة، بعد أن طورت موقف عملياتها بحيث أصبحت الأطراف الداعمة أمام تحد جديد يفرض عليها الالتفات لأمنها الداخلي، إذ تعتقد إيران أنها أنجزت صناعة الطوق الذي يحاصر دول الخليج من جهة سوريا والعراق وهي على وشك إغلاقه نهائياً من جهة اليمن مما يضع هذه البلدان أمام واقع مختلف ومن المؤكد أن الواقع ليس بالصورة التي تحاول إيران إظهارها، ثمة جزئية صحيحة في سياقه وهي أن إيران استطاعت ترتيب مشهد آني يظهر هذه الصورة، بقصد توظيفه داخليا وخارجيا، لكن هذا المشهد يرتكز على معطيات متحركة ولم تستقر بعد، وبالتالي لا يمكن البناء عليه أو أخذه على محمل الجد، لما ينطوي عليه من محاولات تضليل واضحة، وهو

في أحسن الأحوال لا يعدو كونه محاولة لقطف ثمار نصر لم يتم بعد. وتدرك الأطراف المقصودة بالرسائل الإيرانية مدى الوهن والاستنزاف الذي باتت عليه إيران هي ومن تؤيده بالإقليم، بعد أن صرفوا الجزء الأكبر من احتياطاتهم وعلى كافة الصعد في معركة يستحيل النصر فيها.

المقدر أن تؤدي سياسات التدخل الإيرانية التي تفوق طاقتها الحقيقية إلى إضعاف سلطتها المركزية وانفلات الأمور بطريقة لن يعود بالإمكان ضبطها، مثل ما حدث للاتحاد السوفييتي الذي انتهى بالتفكك ومن المؤكد أيضاً أن قادة إيران الذين تحاصرهم المشاكل من أكثر من اتجاه يدركون أن جزءاً من مشهد البروبوجندا الذي صنعوه إنما يعبر عن رغبه لديهم أكثر من تعيينه لواقع إستراتيجي إذ لم يعد خافياً حقيقة الإستراتيجيات المضادة التي تتبناها قوى الغرب في الساحة السورية التي تريد لإيران مزيداً من الانزلاق في الوحل السوري ليتم استنزاف طاقاتها فيما يمكن تسميته بالورطة الإستراتيجية السورية.

وتصل طموحات الغرب وحتى تقديراته في إنهاك إيران في المقلب السوري إلى ما هو أبعد من مجرد استنزاف آني، أي إلى حد انعكاس ذلك الاستنزاف على الاستقرار الداخلي الإيراني وإمكانية وصوله حد تفكيك الجغرافية الإيرانية نفسها خاصة أن إيران تنطوي على فسيفساء عرقية وحالة انقسام اجتماعي يجري ضبطها حتى اللحظة بفضل سياسة

مركزية صارمة .

وتستعجل إيران الإعلان عن انتصارات لم تنجزها بعد فما زال الثوار في سوريا ورغم ما يواجهونه يقلبون المعادلات كل يوم لدرجة تجعل الأرض متحركة تحت أقدام إيران وحلفائها وتشير التقديرات إلى أن طهران يهمها التهليل الإعلامي لانتصارات آنية، وبعدها ستذهب لعرض بضائعها للتفاوض على هذا الواقع، أما التدخل العسكري الذي وصل ذروته فسيتوقف عند الحدود التي بلغتها قوات حلفائها، غربي أوتوستراد دمشق- حمص، بانتظار ما ستؤول إليه المتغيرات .

الباب الثانى

دورإ يران فى الأزمة السورية



مصلحة ايران فى سوريا

- إيران: بعد تراجع وهج ثورة الخميني الإيرانية وتبيّن بطلان وعود تحقيق العدالة والمساواة، تحول الحكم الإيراني خلال العقدين الماضيين لنظام ديكتاتوري بنفس الأسلوب الدّيكتاتوري العربي: جوعوا، امرضوا، أطيعوا، ونحن القيادة نقرر من هو عدوكم ومعارككم ونحن من يتنعم بالرفاهية وكلنا نذكر كيف تم قمع ثّورة الشّباب في إيران بعد انتخابات 2009 بأسلوب دموي ناري ومن بين مبررات بقاء النّظام الإيراني كأي نظام ديكتاتوري الإبقاء على شبح التّهديد الخارجي القادم من إسرائيل والغرب، لذا ازداد التحالف بين الحكمين الإيراني والسّوري قوة وحكام إيران رغم أنهم أقوى وأغني من نظيرهم السّوري إلا أن فقدان هذا الحلف الوثيق يفقدهم كثيراً من الأوراق الأساسية التي يملكونها في المنطقة لذلك فالخيار الإيراني كان واضحاً بضخ كل الدّعم المطلوب خاصة المالي للنظام السّوري لإبقائه حياً فإيران بحاجة لوجود حكم حليف في سوريا لأنه يشكل بالنسبة لإيران ممراً أساسياً نحو منطقة الشرق الأوسط بالذات نحو لبنان وفلسطين وأوروبا ودول الخليج العربي وفقدان إيران لهذه البوابة يعني محاصرة إيران بين أعدائها ويهدد نفوذ إيران القوي فى العراق.

إيران كدولة كبرى في المنطقة تسعى لتحقيق مصالحها الحيوية وأولها الاستقرار الداخلي بمعناه السلطوي خلال فترة حكم الشاه لإيران كان النظام الإيراني مكتفيا بكونه قاعدة أساسية للنفوذ الغربي من خلال السيطرة البريطانية والأمريكية على إيران مع قدوم الخميني وما حمله من مشروع إسلامى شيعي كرجل دين ومع رد الفعل العنيف للغرب على الثورة الإيرانية تلاقى الخوف من عداء الغرب مع الرؤية الدينية للخميني ثم أتت حرب العراق وإيران سريعاً لتساهم بكل مآسيها في ترسيخ عقيدة الخميني أن الخارج وسط معاد لنا فلاقى مشروعه نجاحاً أكبر في الشارع الإيراني،فالخوف هو أفضل الوسائل للتحكم فى العقلية الجماعية للبشر وتكوّنت السلطة الإيرانية على أساسيات العقيدة الخمينية كعامل تجميع وتقييم ضمن إيران وبالتالي تابع النظام الإيراني نفس سياسة الخميني وازداد طموحه وخوفه من الخارج خاصة الغربي والإسرائيلي ولم يستطع النظام الإيراني التخلص من إرث التاريخ الإيراني الحديث، فحافظ على بعض شكليات الديمقراطية مثل الانتخابات كان قدوم الرئيس محمد خاتمي فرصة كبيرة للغرب أن يتصالح مع إيران ويشجع التيارات المعتدلة فيها ويستثمر نزوع الشباب الإيراني للتخلص من حكم الفقهاء لكن كعادة السياسة الغربية تم حصر خاتمي بين ضغط الجناح المحافظ المتعصب داخل إيران وبين ضغط السياسة الغربية

المتعجرفة فلم ينجح إقتصادياً في تحقيق التحسينات التي هي أساس شعبية أي حاكم لذلك استطاع الجناح المحافظ العودة للحكم وبقوة كبيرة ووفق سياسة متسارعة لتحقيق سيطرة كبيرة على مجال إيران الحيوي، خاصة بعد دخول أمريكا أفغانستان والعراق، فبدأ ما يشبه حرب الاستنزاف مع الأمريكيين على الجبهتين معتمداً على حلفائه الروس والصينيين وعلى النظام السوري وبعض الحركات الإسلامية مثل حزب الله وحماس شكل النظام السوري بالنسبة للحكم الإيراني ضمن هذا الصراع الوحشي نقطة ارتكاز استراتيجية وأساسية لتجاوز حدود إيران الجغرافية لذلك فالقرار الإيراني الاستراتيجي كان منذ البداية الدعم المطلق للنظام السوري مهما كلف الأمر من مال أو سلاح فخطف سوريا من يد لإيران لصالح الحلف الغربي الخليجي التركي الإسرائيلي يعني حصر إيران جغرافياً وخنقها تدريجياً مما قد يؤدي على المدى القريب لانتقال عدوى الثورات العربية لداخلها.

هنا يجب أن نلاحظ أن حرف بعض المعارضة مبدأ التّنديد بالموقف الدّاعم للنظام السّوري من إدانة الحكم الإيراني إلى إدانة الشّعب الإيراني من منطلق طائفي متخلف يؤدي لخسارة كبيرة للثورة السورية فالشعب الإيراني أيضاً مهيأ لثورة شعبية ضد ظالميه وقد بدأت قبل الرّبيع العربي بعدة سنوات، ومهاجمة الموقف الإيراني من منطلق طائفي يصب في

تصليب موقف الحكم الإيراني أمام شعبه المظلوم وهذا كان خطأ كبيراً من المعارضة السورية الخارجية النّاطقة باسم الثّورة السورية هذا التشويه الإعلامي من خلال عدم الفصل بين الإدارة السياسية للدولة وبين شعبها مشكلة إنسانية عامة وفي الأزمة السورية فالإعلام العربي خاصة الخليجي والغربي بالإضافة لبعض المعارضة السورية سايروا المسار السابق الممتد منذ عقدين تقريباً على تأجيج العداوة بين السنة والشيعة، بين العرب والإيرانيين والإعلام الإيراني والنظام لعبوا على نفس الوتر داخلياً حين نشروا خوفاً وهمياً من السنة والعرب لصالح السياسة العربية والغربية والعامل الهام في العلاقة بين إيران ما بعد الخميني والعرب أن مشاعر الخوف تصاعدت بشكل عنيف من الجانبين خاصة من قبل حكام كلا الضفتين والإعلام التابع لهما إعلان إيران كدولة وفق المذهب الشيعي الإثنى عشري ومبدأ ولاية الفقيه الذي سنّه الخميني بالإضافة لتصريحاته الحماسية الداعية لتصدير الثورة أخاف حكام دول الخليج العربي بالذات وبقية الحكام العرب ممن يستخدمون التبرير الديني الإسلامي في حكمهم هذا الخوف مبرر لأي حاكم فى منطقة تتداخل فيها كل الأيادي من مختلف دول العالم بسبب غناها الفاحش بمصادر الطاقة ومهما ادعى شيوخ السنة والإعلام العربي فإن إعلان إيران كدولة داعمة للقضية الفلسطينية حرك مشاعر الشباب

المسلم في الشارع العربي بعد أن وصل لمرحلة اليأس من تحقيق الدولة العادلة واسترجاع الحق الفلسطيني بالطبع هذه المشاعر تناقضت مع مشاعر الانتماء المذهبي القوية داخل المسلم السني لذلك كانت حرب إيران والعراق هي بداية محاربة هذه المشاعر وإعادة التحكم بها لتواجه مشروع الخميني ومنذ بدايات الثمانينات سخر كلا الفريقين الحكم الإيراني والعربي الخليجي إمكانيتهم المادية لشن حرب إعلامية لا هوادة فيها ضد الآخر باستخدام العامل الديني الراسخ فى التاريخ الإسلامي بين السنة والشيعة هذه الحرب وصلت لأوجها منذ بداية الألفية الثالثة مع تطور وسائل الاتصال عبر العالم فلم يعد بإمكان أي حكومة منع شعوبها من الوصول للمعلومات فإذا أضفنا لذلك الحرب الشرسة التي شنها الغرب على إيران بحجة الخوف من السلاح النووي وتحالف الغرب السياسي مع الحكم العربي الخليجي يمكننا أن نفهم أي زاوية ضيقة تم حشر الشعب الإيراني فيها بين حكم ديني استبدادي وبين عداء خارجي لا يخفي نفسه.[1]

1- سوريا والقوى الدولية ص105-110أسامة عبد الرحمن0

دور إيران في التخطيط والقيادة والتحكم

يعامل الإيرانيون على الحدود السورية ـ اللبنانية معاملة خاصة حيث يظهرون جوازات سفرهم للضباط على النقطة من دون الحاجة للنزول من سياراتهم،وينقل عن رجل أعمال من حمص قوله الإيرانيون موجودون وغير موجودين، فهم مثل الأشباح لهذا السبب فالتكهنات حول دورهم وما يقومون بعمله منتشرة بشكل واسع والكل يجمع على أنهم يلعبون دوراً مهماً وإن من خلف الأضواء.

وينقل بلاك عن إميل هوكاييم الباحث في المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية نعرف الكثير عما يفعله الإيرانيون في أماكن معينة، ونشاهد أسلحة ومعدات وتصنت، لكننا لا نعرف ما يفعلون من ناحية مؤسسية، في حين نتساءل عن دورهم في التخطيط والقيادة والتحكم.

تتحدد أهداف الدول الساعية لحماية مصالحها القومية، من خلال سياستها الخارجية، وتتأثر بالبيئة العالمية التي تتعامل معها وتتحرك فيها، وبالقوة أو القوى التي تتحكم وتوجه هذه البيئة ويصاغ الدور والسياسة الخارجية الإيرانية في إطار الوحدة الدولية، بغية تحقيق أهدافها إزاء وحدات خارجية ففي عصر التقدم التكنولوجي في وسائل الاتصال لم تعد النظم والجماعات قادرة على الانحسار داخل بوتقة خاصة أو الانغلاق على الذات.

وجدت إيران نفسها في بيئة مغايرة تماماً لبيئة السبعينات، فقد اختلفت البيئة العالمية في سبعينات القرن الماضي عنها في القرن الحادي والعشرين، بما تتيحه من فرص وخيارات أمام إيران، بدأت تتضح معالمها منذ تسعينات القرن الماضي.

ساهمت الحرب الأمريكية على الإرهاب في تعزيز مكانة إيران كدولة إقليمية ذات نفوذ قوى ووفرت واشنطن لإيران فرصة مناسبة للحصول على مكانة إقليمية ودولية فبعد الإطاحة بنظامين (العراق، أفغانستان) كانا يشكلان تهديداً مباشرة لطهران، تمت مكافأة إيران بإطلاق يدها في العراق ولبنان، وأصبح لها نفوذ في مناطق أخرى مهمة، مثل غزة، وأسيا الوسطى، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية فقد استغلت إيران انهيار النظام العراقي وانشغال أمريكا في حربها في العراق، لتتحول إلى القوة الإقليمية الأبرز، والى فاعل سياسي رئيسي في المنطقة وهكذا، تصبح إيران طرفاً مهماً في تشكيل النظام العراقي الجديد، وتسعى إلى أن يكون النظام العراقي الجديد غير معادٍ لها أو أن يكون مؤيداً أو متعاطفاً معها. فبعد أن كان النظام العراقي القديم يشكل تحدياً أمام حرية الفعل الإيراني لتحقيق دور إقليمي، بات اليوم أمام إيران الفرص متاحة بشكل كبير.

والأهم هو، أن هذه البيئة الدولية والإقليمية، فتحت فرصاً كبرى أمام إيران للتحرك فى اتجاه تطوير برنامج نووي كما أن هذا البرنامج

النووي قد يُكسب الطبقة الدينية القابضة على الحكم، شرعية تساعدها على الاستمرار وبسط سيطرتها على الداخل بالطريقة التي تنسجم وتتماشى مع تصوراتها، بالإضافة إلى تثبيت نظام الحكم ومبادئ الثورة كما أن هذا التعنت الإيراني أمام الأمريكان اكسبها شرعية إقليمية عند البعض، مما اكسبها سيطرة على بعض الدول ، لتتماشى مع تصورات الجمهورية الإسلامية الإيرانية للمنطقة، وتدور في فلكها.

أضف إلى ذلك، إن حرب واشنطن على الإرهاب، وتحطيم النظامين العراقي والأفغاني، جعل إيران طرفاً في أي حوار أمريكي يخص العراق وأفغانستان وبالفعل لقد أجرى دبلوماسيون أمريكيون وإيرانيون، مع مسئولين من دول أعضاء في الأمم المتحدة، في بون العاصمة السابقة لألمانيا، لقاءات في إطار محادثات متعددة الأطراف حول تشكيل حكومة جديدة ووضع دستور جديد لأفغانستان وناقش كل من السفير الأمريكي لدى العراق مع نظيره الإيراني أعمال العنف في العراق وأجريت ثلاث جلسات أخرى من تلك المحادثات منذ عام 2008، برعاية وزارة الخارجية العراقية وفي مارس 2009، أجرى ريتشارد هولبروك المبعوث الأمريكي الخاص إلى أفغانستان وباكستان، حديثا موجزا ووديا مع ممثل إيران خلال مؤتمر دولي حول أفغانستان وغيرها من اللقاءات

sharif mahmoud

والمشاورات التي تجري بين الأمريكيين والإيرانيين لتقرير مستقبل العراق وأفغانستان.

واستطاعت إيران بسط نفوذها الإقليمي، وأمست طرفاً في تشكيل مستقبل العراق وأفغانستان، ومؤثرةً في الوضع السياسي في لبنان وفلسطين وهو ما ينبئ بأن إيران قد تكون لاعباً أساسياً في تشكيل الشرق الأوسط الجديد وعموما، إن الحرب الأمريكية على الإرهاب، والمأزق الأمريكي في العراق وأفغانستان، واستنزاف القدرات الأمريكية ، وعدم قدرتها على ضرب أي بلد آخر، ناهيك عن مناطق التوتر الأخرى، والأزمة المالية العالمية، كل ذلك ترك فراغاً، وفتح فرصاً كبرى أمام حرية الحركة الإيرانية.

إن سقوط النظام العراقي والأفغاني، جعل إيران أمام فرص متعددة، لكنه في نفس الوقت فرض عليها تحديات ومعيقات فقد أصبحت إيران أكثر من أي وقت مضى عرضة للضغوط الأمريكية، وبمختلف الوسائل لمنعها من البروز كقوة إقليمية؛ لأن واشنطن لن تسمح ببساطة ببروز قوة إقليمية معادية لها كما جعلها في موضع الخطر المباشر، خاصة أن واشنطن أصبحت على حدود إيران الشرقية في أفغانستان، وشمالاً في جوار بحر قزوين في أكثر من دولة من دول الاتحاد السوفيتي السابق، كما أن جارتها باكستان دولة نووية ولها علاقة جيدة مع واشنطن، وهي

تسير باتجاه علاقات مماثلة مع إسرائيل كذلك الأمر مع تركيا أما في جنوبها، وبفعل مصالح واشنطن الإستراتيجية في الشرق الأوسط، وحماية أمن إسرائيل وتدفق النفط، كل ذلك جعل تواجد واشنطن العسكري أكبر وأضخم من أي منطقة أخرى، ناهيك عن العلاقات العربية- الإيرانية المتوترة أصلاً ولعل أبرز ما يوضح القلق الإيراني من التواجد العسكري الأمريكي بجوارها هو ما عبرت عنه الرسالة التي أرسلت من قِبل 153 نائباً إلى البرلمان الإيراني حيث أشارت إلى أنه في أعقاب وضع القوات الأمريكية في أفغانستان واحتلال العراق فقد وصل التهديد إلى حدودنا.

كل هذه العوامل تشكل معيقات أمام إيران، تجعلها أكثر عرضة للمخاطر، تدفع طهران قسراً فى اتجاه إقامة علاقات مع واشنطن ، أهميتها ترجع إلى تخفيف حدة التوتر بينها وبين واشنطن، بالإضافة إلى أن هذه المشاورات المباشرة تسمح لواشنطن الاطلاع مباشرة على وجهة النظر الإيرانية خاصة عندما تتوتر العلاقة بينهما أضف إلى ذلك أن هذه المشاورات واللقاءات السرية التي تجرى من الأبواب الخلفية، تساعد إيران في إيصال رأيها إلى إسرائيل، ففي هذه الحالة تلعب واشنطن دور الوسيط بين إيران وإسرائيل كما أن هذه اللقاءات تقوي من الآمل في تحسين العلاقات الأمريكية الإسرائيلية - الإيرانية وهي

بالفعل لعبت دوراً في استمرار النظام الإيراني المتشكل إثر الثورة الإيرانية1979فمشاورات إسرائيل وإيران في عقد الثمانينات بخصوص صفقة الأسلحة، والمشاورات الأمريكية ـ الإيرانية بخصوص الرهائن ، عززتا الأمل في إعادة العلاقات إلى سابق عهدها، خاصة أن إسرائيل استمرت فى العمل على إعادة علاقاتها مع النظام الإيراني الجديد وحاولت عبر وسطاء إعادة هذه العلاقة0

دور إيران فى الأزمة السورية

اختلفت الآراء بخصوص جدوى مشاركة إيران في مؤتمر السلام حول سوريا فبينما ترى قوى دولية استبعاد إيران عن المؤتمر ترى أطراف أخرى أن التوصل لحل شامل للأزمة السورية لا بد أن يمر عبر إيران وبعد جهود طويلة تقرر أخيراً عقد مؤتمر السلام الخاص بسوريا في مدينة مونترو السويسرية ويهدف هذا المؤتمر إلى وضع حد للحرب الأهلية الدائرة في سوريا التي خلفت حتى الآن أكثر من 120 ألف قتيل وحسب لائحة الدول المشاركة في المؤتمر، التي أعلن عنها المبعوث الخاص للأمم المتحدة إلى سوريا الأخضر الإبراهيمي، فإن إيران لن تكون حاضرة فيه بالرغم من دورها المؤثر في الأزمة السورية.

إيران تزود سوريا بالجنود والسلاح

يرى مدير مركز بحوث العالم العربي في جامعة ماينز، جونتر ماير، أن إيران تعتبر محوراً أساسياً في الحرب الدائرة بين بشار والشعب السورى، ويقول ماير في حوار مع DW بدون الدعم الإيراني لم يكن بوسع الأسد الصمود في السلطة حتى الآن ويرجع سبب دعم إيران لسوريا إلى الشراكة الإستراتيجية التي وقع عليها البلدان عام 2006 التي نتج عنها تحالف عسكري تعهد فيه الطرفان بالوقوف إلى جانب بعضهما البعض في وقت الأزمات لذلك فإن إيران تُسخر كل إمكانياتها من أجل مساعدة الأسد على البقاء في السلطة، كما يرى ماير وحسب المخابرات الأمريكية فإن إيران تقوم بتزويد قوات الأسد بالأسلحة عن طريق الجو ولا يشكك في إرسال طهران لقوات خاصة من الحرس الجمهوري الإيراني من أجل تدريب قوات الأسد على التصدي للشعب السورى الذى يرفضه وعلاوة على ذلك هناك مؤشرات على قيام إيران بتدريب جنود عراقيين للقتال إلى جانب الأسد.

وحتى وقت قريب كانت إيران تُخفي دعمها العسكري والاقتصادي لنظام الأسد، ولما قامت قواتُ الجيش السوري الحر بالقبض على عدد من عناصر من الحرس الثوري الإيراني ، زعمت طهرانُ أن تلك العناصرَ غيرُ تابعة لقوات الحرس، وأن مهمتهم ليس لها علاقةٌ بقوات

بشار الأسد،والفترة الماضية شهدت تحولاً جذريًّا في موقف إيران من الأحداث في سوريا، وأصبح دعمها لنظام الأسد يتم دون مواربة أو غموض،وإن أخفتْ إيران حدود هذا الدور وأهدافه؛ فقد أعلن قائد الحرس الثوري الإيراني، أن قوات فيلق القدس الذي يقوم بتنفيذ عمليات عسكرية سرية خارج إيران موجودة في سوريا، لكنه لا يلعب دورًا عسكريًّا في سوريا، وأن وظيفتَه تقديمُ الاستشارات الأمنية والمساعدات الاقتصادية وهذا التصريح يعكس خلافًاً جوهريًّا داخل النخبة الحاكمة في إيران التي تعاني من مشكلات اقتصادية ضخمة جراء العقوبات الغربية والأمريكية، لكنه في نفس الوقت يُخفي رغبة طهران في استعراض قوتها في سوريا، وأن تصدِّرَ مشكلاتِها الداخلية إليها، أو بمعنى آخر استغلال الأزمة السورية في لفت نظر العالم والقوى الدولية عن برنامجها النووي،لاسيما أن من مصلحة طهران بقاءَ نظام الأسد، باعتباره أحدَ أهمِّ حلفاء إيران في المنطقة.

وعقِب تصريحات قائد الحرس الثوري الإيراني، خرج المتحدِّث باسم الخارجية الإيرانية رامين مهانبرست لوسائل الإعلام نافياً وجود أي دور عسكري تمارسه بلادُه في المنطقة، خاصة في سوريا تضاربُ وتناقض التصريحات الإيرانية يعكس رغبةَ طهران في إرسال رسائل ضمنية للغرب بوجودها في سوريا، ومن ثم فإن أي تدخل دوليٍّ في الشأن

السوري سيواجه ردَّ فعل عسكري عنيفٍ منها، طبقًا للاتفاقيات الأمنية والعسكرية المشتركة بين الدولتين، التي أكد المسؤولون الإيرانيون استعدادَ طهران لتفعيلها حال طلبت دمشقُ ذلك.

لا شك أن التأكيدَ بإشارات ضمنية أو مباشرة بوجود عناصر الحرس الثوري في دمشق، يعكس رغبةً داخلية في إعلاء قوات الحرس على غيرها من فروع الحكومة الإيرانية، وهذا التوجه حدث من قبْلُ، عندما وجَّه قائد فيلق القدس اللواء قاسم سليماني في ربيع 2008 تصريحاتِه لقائد القوات الدولية في العراق ديفيد بترويوس قائلاً: فيلق القدس يسيطر على الأوضاع في غزة والعراق وأفغانستان ولبنان مؤكدًا أنه يتعيَّن على الولايات المتحدة التفاوضُ معه لحل مشكلات الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا.

أصبحت طهران في الواجهة السورية، وأيَّ عمل عسكري غربي سواءٌ مباشرًا أو بالوكالة سيواجَه بردٍّ فعل عنيف من قوات الحرس الثوري الإيراني، التي سمَحَ غيابُ الدور الدولي والإقليمي لها بالتمدد والانتشار في سوريا؛ لذلك فالخيارَ الأفضل في تلك الحالة هو الدعمُ القوي والفعال من جانب القوى العربية والإقليمية والدولية للمعارضَةِ السورية في الداخل؛ للتعجيل بسقوط بشار.

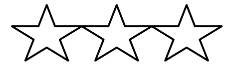
إيران تنفذ مذابح شرسة

قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، إن تركيا لديها معلومات عن أن القوات المدعومة من إيران في سوريا تنفذ مذابح شرسة حسب تعبيره وأنه لا يمكن حل الأزمة السورية وأزمة اللاجئين دون إقامة منطقة عازلة في شمال سوريا وحظر الطيران.

وتعهد أردوغان بإنفاق 3 مليارات دولار قدمتها الدول الغربية لتركيا لدعمها في رعاية اللاجئين، مطالباً المجتمع الدولي بدعم فوري لبناء مناطق متكاملة لإيواء اللاجئين السوريين، داعياً المجتمع الدولي إلى بذل جهد أكبر لمنع التطهير العرقي في سوريا وتوقع أردوغان ارتفاع أعداد اللاجئين السوريين بمقدار 600 ألف لاجئ في حال استمرار الهجوم على حلب.

الباب الثالث

أيران وروسيا فى سوريا



النظام السوري والعلاقات الإيرانية - الروسية:

يري نظام بشار الأسد سوريا دولة ذات جناح واحد ورغم أن الرئاسة السورية، المتمثلة في بشار الأسد، هي الممسكة بمقاليد السلطة في المناطق الخاضعة لها حتى الآن، فإنه يجب عدم إغفال دور القوات المسلحة في الإبقاء على هذه المؤسسة الرئاسية بعد مضي نحو خمس سنوات على اندلاع الثورة.

هنا، يمكن القول أن النظام السوري يحكمه السلاح، كما تحكمه السياسة والاقتصاد ويشير الوضع الراهن إلي توزيع الانتماءات والولاءات بين أجنحة السلطة على إيران وروسيا فبدءاً من النصف الثاني من القرن العشرين، وتحديداً منذ عام 1946، وفي السنوات الماضية من القرن الحادي والعشرين، اعتمد الجيش العربي السوري على الخبرة الروسية في تكنولوجيا التسليح، وعلى تلك الخبرة في تدريب عناصر وأفراد أجهزته الاستخباراتية وبالتالي، فإن ولاء القوات المسلحة السورية عقائدياً يصب في خانة السلاح الروسي.

في المقابل، اضطلعت إيران بدور فاعل في نشر الميليشيات، تلك التي تعمل ضمن الإطار العسكري للنظام السوري، وتتمتع كذلك بولاء تام لطهران، وتحتفظ بهامش من الاستقلال عن النظام لمصلحة الحرس

الثوري، فضلاً عن الاستحواذ الإيراني على السياسة السورية تماماً، التي عملت في السنوات العشر الماضية بكثافة على السيطرة على مفاصل صنع القرار في دمشق، بدءاً من الدوائر المحيطة ببشار الأسد، مروراً بالتغلغل في الأجهزة الدبلوماسية والسياسية، وانتهاء بربط رأس المال السوري بالبازار الإيراني.

بوضع ذلك في الحسبان، فإن نظام بشار الأسد ليس كتلة واحدة يمكنها تغليب كفة أحد اللاعبين الإيراني أو الروسي وفي الواقع، لا يملك الآن من أمر بلاده شيئاً كثيراً وعليه، يمكن التوصل إلي نتيجة تقوم على تفضيل بشار الأسد الخيار السياسي الإيراني بعيد المدي، مع تفضيل الخيار العسكري الروسي الآني، وظهر ذلك في تصريحاته التي أدلي بها فور التدخل العسكري الروسي، التي همَّش فيها الدور الروسي، معتبراً أنه مجرد طرف في تحالف يضم إيران، والعراق، وسوريا.

وبالتالي، فإن حدود تأثير نظام بشار الأسد في تناقضات الأهداف الإيرانية الروسية تظل محدودة بالنظر إلي ارتهان مفاصل دولته بالسلاح الروسي، والسياسة والاقتصاد الإيرانيين،وافتقاره لأدوات الضغط، وانعدام هامش المناورة، مع عدم وجود بدائل أخري للطرفين أمامه.

الدور الروسى فى سورية فرصة ذهبية لإيران

يتّبع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في معالجته للأزمة السورية تكتيكات صلبة يحاول فرضها كقواعد تعامل مكتملة الشروط ومغلقة أمام أى تعديل أو تطوير، إلا في اتجاه تصليب تلك التكتيكات بدرجة أكبر حتى القوة الروسية الناعمة المتمثلة في المجال الدبلوماسي باتت تتبع تكتيكات بوتين الصلبة وثمّة محفّزات تدفع بوتين فى هذا الاتجاه مثل تراخي إدارة أوباما وتناقض توجهات الأجهزة الأمريكية تجاه الأزمة السورية كما كشف الصحفي سيمور هيرش مؤخراً، وعدم وضوح موقف حلف شمال الأطلسي من التحرك الروسي على حدوده الجنوبية.

وشكلت تلك الوقائع مناخاً سلبياً وحاضنة لتوليد التقديرات غير دقيقة، أخذت تؤثر في دوائر صنع القرار في روسيا، وتظهر مؤشرات هذا التأثير في شكل جلي في التطويرات التي يضيفها بوتين على حملته في سورية سواء من حيث توسيع نطاق تحركها أو سقوف أهدافها ولا شك في أن ذلك يخلخل إدارة الأزمة من قبل مختلف اللاعبين المنخرطين فيها ويؤثر في التفاعلات الإستراتيجية المحيطة بها، فمنهج بوتين، في بداية انخراطه في الأزمة، كان اتّباع سياسة الإكتفاء المعقول التي على أساسها تحقق روسيا أهدافها دون الإضطرار إلى عبور النقطة الحرجة للمهمّة والذي قد يدفعها إلى الزج بالمزيد من القوة العسكرية، ويعيد

تعريف وجودها من المشاركة إلى التدخل، ويفصل بينهما خيط رفيع، وفي سبيل تلافي الوقوع في هذا الخطر يضطر بوتين إلى استخدام أدوات التشغيل التي توفرها إيران في الميدان من كتائب وميليشيات، وهو ما يدفع موسكو إلى صناعة تحالف عسكري تقوده إيران برياً وتكون المساهمة الروسية فيه على شكل مشاركة في التخطيط وتبادل المعلومات وتحديد الأهداف.

في مقابل تلك الحاجة تجد إيران نفسها تحت غطاء التفويض الدولي الذي حصلت عليه روسيا بما يمنحها هامشاً واسعاً للمناورة، وفيما تتركز الأنظار على التدخل الروسي وتسلط الأضواء عليه بدرجة كبيرة يتحوّل التدخّل الإيراني إلى عنصر غير مرئي لكنه يعمل بفعالية وراحة أكبر في تنفيذ أهداف المشروع الإيراني، التي على رأسها ليس الحفاظ على بشار الأسد بل إعادة صياغة الواقع الديموجرافي في سورية والعراق، بحيث تشكّل الحرب على داعش والتوتر الإقليمي خاصة مع تركيا قنابل دخان للتغطية على المشهد الحقيقي وتفاصيل الكارثة التي تشكّلها إيران في المشرق العربي وباعتبار أن مثل هذا الأمر يستلزم إطاراً زمنياً لصناعته وترسيخه فإن إيران، ستعمل بدرجة كبيرة على عرقلة فرصة صناعة التسوية التي أقرها مؤتمر فيينا مؤخراً وقرار مجلس الأمن رقم 2254 حتى لو أرادت روسيا عكس ذلك، إذ رغم أن

موسكو تبدو ظاهرياً المسيطرة على تفاصيل المشهد السوري لكنها لا تتحكم فيه مما يجعل دورها قاصراً على تهيئة الظروف المناسبة لإيران سواء من خلال ضرب خصوم طهران المحليين وإشغالهم عن مواجهة مشروعها أو بالضغط على دول الجوار ودفعها الى الإنكفاء والإنشغال بالاجراءات الإحترازية لمنع حدوثل صدام مع روسيا، ولا شك في أن ذلك يشكل فرصة ذهبية لإيران يصعب توافرها في وقت آخر، وبالتالي ستعمل إيران على استمرار هذا الوضع أطول وقت ممكن.

لكن رغم ما سبق وتلك الفرصة الذهبية لإيران فى وجود روسيا إلا أن إيران تخشى من التواجد الروسى فلماذا؟.

<u>لماذا تخشى إيران من الدور الروسى فى سوريا؟</u>

وفقاً لرواية وكالة رويترز للأنباء، فإن الجنرال الإيراني قاسم سليماني قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني هو من قام بإقناع روسيا بالتدخل في سوريا لدعم نظام بشار الأسد، وبفرض التسليم بذلك فانه لا يعني بالضرورة أن إيران تبارك التدخل الروسي بشكل كامل وهو ما تؤيده مؤشرات وأسباب عدة يمكن رصدها تجعلنا نذهب إلى القول إن التدخل العسكري الروسي في سوريا يشكل خطراً على إيران أيضاً:

1- حلفاء بمصالح متعارضة :

بعد أيام من إعلان روسيا دخولها رسمياً في سوريا، نقلت وكالة رويترز للأنباء عن مصادر لبنانية قولهم إن مئات الجنود الإيرانيين وصلوا إلى سوريا خلال الأسبوعين الأخيرين وهو ما أثار ارتباكاً في صفوف المحللين ففي حين ذهب بعضهم إلى القول بأن التعزيزات الإيرانية تأتي في سياق الاستفادة من الضربات الجوية الروسية في تعزيز التقدم البري فإن آخرين يذهبون إلى استنتاجات مفادها أن إيران تحمل مخاوف من تعاظم النفوذ الروسي في سوريا والمزاحمة في الكعكة السورية.

بخلاف ذلك فقد تواردت أنباء عن انتقال ما بين 2000 إلى 2500 مقاتل من مقاتلي الحشد الشعبي من العراق إلى سوريا وفقا لتصريحات وزير عراقي رفض الكشف عن هويته لصحيفة العربي الجديد وقد جرى نقل الميليشيات عبر طائرات تابعة للخطوط الجوية العراقية والسورية.

فإيران قلقة من التمدد الروسي على الأرض أيضا، فقد كانت الخطة الإيرانية تسير وفق فكرة الأرض لإيران والجو لروسيا لكن التقارير الميدانية تشير إلى أن روسيا تنشر قواتها على الأرض ليس فقط في قواعدها في اللاذقية وطرطوس لكن في حماة، فوفقاً لمدير مركز حماة الإعلامي ، فالقوات الروسية أنشأت مركزاً لقواتها العسكرية البرية في معسكر الفروسية، الواقع بين حيي الصابونية وجنوب الملعب في مدينة

حماة، وتم إخلاؤه من القوات السورية ورفع العلم الروسي على المبنى وبلغ عدد القوات الروسية في حماة أكثر من 1000 جندي وفقاً للتقديرات ولم تقتصر الأمور على ذلك، بل تم إخلاء اللواء 47، الواقع جنوبي حماة، لتحويله إلى معسكر كبير للقوات الروسية الآتية مستقبلاً إلى حماة،هذه التطورات في التحركات الروسية تفقد إيران مكانتها كمنفرد بالقرار نيابة عن نظام الأسد وتجعله شريكاً في الكعكة السورية وهو ما ترفضه إيران التي ترى أنها دفعت وحدها ثمن دعم النظام السوري طوال 4 سنوات وتحمل إيران وروسيا مصالح متعارضة في المنطقة فمن ناحية فإن النفط الإيراني الذي ينتظر أن يغرق الأسواق قريبا ينظر إليه على أنه منافساً للنفط الروسي، أما المخاوف الأهم فتتعلق بالغاز الطبيعي، حيث تخشى إيران أن تسعى روسيا لاستغلال نفوذها في سوريا لنقل الغاز عبر المتوسط.

2-قيادة العمليات في سوريا ومخاوف من تمدد روسي في العراق:مع قدوم روسيا إلى أرض المعركة كان من الطبيعي أنها لن تقبل العمل تحت قيادة ميدانية إيرانية فكان البديل هو إنشاء مركز قيادة مشترك يضم كل من روسيا وإيران وسوريا والعراق وتقرر أن تقام هذه القاعدة في بغداد وتتناوب على قيادتها الدول الأربعة بشكل دوري بمعدل 3 أشهر لكل منها على أن تكون العراق القائد الأول وقد أعلنت عنها وسائل الإعلام

الروسية بشكل موسع ومفصل في الوقت الذي بدت فيه إيران متشككة ومتحفظة حيث قال الرئيس الإيراني أمام جمع من الإعلاميين خلال زيارته الأخيرة إلى نيويورك: طلب مني الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بشكل شخصي تشكيل تحالف استراتيجي معه ضد الإرهاب في سوريا ومع ذلك لا يوجد الآن تحالف استراتيجي بين طهران وموسكو ووفقا لعباس قايداري المحلل الإيراني في شئون الأمن الدولي وقضايا الدفاع، فإن إيران ترى أن تعزيز التواجد العسكري الروسي في سوريا سوف يضعف بسهولة المواقف القوية لإيران وحزب الله مما سيؤثر على مكاسب طهران في أي تفاوض قادم بسوريا خاصة في ظل عدم الاتفاق بين البلدين على الرؤية النهائية وسقف المطالب وإيران تبدو قلقة إزاء التعليقات المشتركة التي تخرج من بغداد وموسكو وتشير إلى استعداد روسيا لتوسيع عملياتها إلى العراق في حال طلبت بغداد ذلك بشكل رسمي وهو ما سيضع إيران في موقف صعب، خاصة في ظل وجود القوات الأمريكية وبشكل أخص في ظل سعي الحكومة الحالية في بغداد بقيادة حيدر العبادي لتقليص اعتمادها على إيران وتحجيم النفوذ الإيراني، وهو ما يعني مزاحمة جديدة لنفوذ إيران خاصة أن إيران بالفعل تقوم بتقديم دعم استخباراتي لكل من العراق وسوريا وترتبط معها باتفاقات ثنائية في هذا المجال.

sharif mahmoud

وتخشى إيران من أن التعاون الاستخباراتي مع روسيا قد يؤدي في النهاية إلى إكساب موسكو المزيد من المعلومات حول القدرات العسكرية لحزب الله وخطوط السير الخاصة بقواته، وهو ما تخشى إيران أنه يمكن أن يتم تمريره إلى إسرائيل بشكل أو بآخر كثمن لشراء صمت رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وموافقته على التدخل العسكري في سوريا. [1]

أثر التدخل الروسى على إيران فى سوريا

قلب التدخل العسكري الروسي المباشر في الأزمة السورية الموازين السياسية ـ العسكرية في سوريا، وغير جانباً من المعادلة ظل ثابتاً نحو خمس سنوات، وهو الجانب المتعلق بكون إيران الكفيل العلني الرئيسي للنظام السوري، واستحواذها على الكلمة الأخيرة في قراراته وبعد التدخل الروسي المباشر، لم يعد اللاعبون الإقليميون، سواء الداعمون للنظام السوري كإيران، أو المناهضون له كالمملكة العربية السعودية، وتركيا هم الفاعلين الرئيسيين في المشهد فقد حول الانخراط الروسي العسكري المباشر شكل الصراع من صراع أطرافه وأدواته الأساسية

1-دور روسيا فى الأزمة السورية ص 95-101-أسامة عبد الرحمن0

إقليمية، إلي صراع مباشر بين إرادات دولية، الأمر الذي استتبع بالضرورة خصماً من رصيد وأوراق اللاعبين الإقليميين، وعلى رأسهم إيران.

وتنطلق رؤية إيران تجاه التدخل الروسي العسكري في سوريا من منظورين:

1- الثقة الإيرانية: يستند أصحاب تلك الرؤية إلي أن الإنزال الروسي في سوريا، الذي بدأ في سبتمبر 2015، جاء بالتشاور مع طهران التي اطمأنت إلي التدخل الروسي وتفسر هذه الآراء الخطوة الروسية برغبة الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، في إعادة دور الاتحاد السوفيتي كلاعب فاعل على الساحة الدولية وبعدما تمكن من تخطي ما يوصف بالفخ الأوكراني،وأحدث شرخاً حيال هذه القضية في المعسكر الأوروبي، انتقل إلي سوريا التي تشكل منفذ موسكو الوحيد على مياه المتوسط لكن بوتين وفق هذا الرأي لا يريد تحمل أثمان باهظة لذا، فخطواته مدروسة جيداً ،وهو يتصرف ضمن استراتيجية إعادة الهيبة السوفيتية،مجاهراً بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي شريك في محاربة الإرهاب وفقاً لهذا التصور، فإن خطاب الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، الذي أكد فيه تدخل بلاده حربياً في سوريا، يستند إلي خلفية واقعية فقد اكتشف الروس أن وضع الرئيس بشار الأسد وجيشه النظامي في مواجهة

المعارضة غير مجد للحصول على دعم الغرب، فقرر بوتين النزول مباشرة إلي الساحة السورية، حاملاً راية محاربة الإرهاب بضوء أخضر أمريكي ينم عن انعطاف أمريكي أكيد تجاه الموضوع السوري، من دون مبالغة تصل إلي حد إعادة تعويم نظام الأسد.

تستمد هذه الرؤية وجاهتها من عدد من المعطيات والمسوغات، أهمها:

أ- الزيارات المتوالية للقادة العسكريين الروس إلي طهران، والزيارات المماثلة التي قام بها مسئولون إيرانيون إلي روسيا، لعل أبرزها الزيارة غير المعلنة، التي أثارت جدلاً بين موسكو وواشنطن، والتي قام بها قائد فيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني، قاسم سليماني، إلي روسيا نهاية يوليو 2015، أي قبل قيام روسيا بالعمليات العسكرية، مما فهم منه إطلاع روسيا الإدارة الإيرانية على خططها الاستراتيجية تجاه سوريا.

ب- الزيارتان اللتان قام بهما على التوالي وزير الدفاع الإيراني، حسين دهقان، إلي موسكو، يوم الثلاثاء 16 فبراير 2016، ثم وزير الدفاع الروسي ، سيرجي شويجو، إلي طهران، يوم الأحد 21 فبراير 2016 والتقي الوزيران في الزيارتين الرئيسين الروسي فلاديمير بوتين، والإيراني حسن روحاني، مما أثار في الأذهان حجم التفاهم المشترك بين

البلدين تجاه الملفات المشتركة، وعلى رأسها الوضع في سوريا، خاصة أن الزيارتين لم تفصلهما سوي خمسة أيام فحسب.

ج- الإعلان الروسي عن قرب تسليم إيران عدداً من منظومات الدفاع المتطورة المضادة للصواريخ من طراز إس-300، ونية روسيا تزويد إيران بطائرات حربية من طراز سوخوي30 ولأن صفقة إس-300 كانت محل نزاع بين طهران وموسكو، بسبب امتناع الأخيرة عن تزويد الأولي بها، كورقة ضغط على المجتمع الدولي في أزمة القرم، متذرعة بالتزامها بتنفيذ بنود العقوبات الدولية المفروضة على طهران، وقيام إيران برفع دعوي قضائية ضد روسيا لتسليم الصفقة، فإن الإعلان الروسي عن تسليم إيران تلك المنظومة أعطي للإدارة الإيرانية انطباعاً عن رغبة روسيا في تكملة الدور الذي تضطلع به إيران، وليس الخصم من رصيدها السوري.

4- نجاح استراتيجية ضمان التفوق، التي تري إيران من خلالها أن الوجود الروسي سيؤدي فوراً إلي تفوق معسكرها في مواجهة المعسكر الآخر، خاصة أن إضعاف القوى الموجودة في معكسر التحالف الدولي سيؤدي حتماً إلي إضعافها في الملفات الأخري وهنا، تجب الإشارة إلي نظرة إيران إلي السعودية التي تناوئها في ملفين آخرين لا يقلان أهمية عن الملف السوري، وهما: اليمن ولبنان.

2- تعارض المصالح: يري عدد من المحللين أن التدخل العسكري الروسي في سوريا أفرز عدداً من نقاط التعارض في المصالح الإيرانية الروسية وتتمثل تلك النقاط في:

أ- التخوف الروسي من الكتائب التي شكلتها إيران بسوريا في السنوات الثلاث الأخيرة، بدعم من خبرات الحرس الثوري الإيراني وحزب الله في تشكيل الميليشيات المسلحة لذلك، اقترحت موسكو ضم تلك الكتائب إلي القوات المسلحة السورية النظامية، تلك التي تقيم معها موسكو علاقات ممتدة منذ منتصف القرن العشرين وهي خطوة أثارت امتعاضاً إيرانياً، فقد استشعرت إيران أن روسيا تستهدف حرمانها من ظهيرها العسكري، الذي شكلته على غرار الحرس الثوري،عقب الثورة الإسلامية عام 1979، وبالتالي انفراد روسيا بالقوى العسكرية المخندقة في معسكر بشار الأسد ولو كانت فكرة روسيا غير محل شك من جانب إيران، لكانت الأخيرة ضمت تلك الفرق والكتائب إلي الجيش النظامي فور تشكيلها.

ب- التنسيق الروسي مع إسرائيل في منطقة شرقي المتوسط، والتدريبات العسكرية الثنائية بين سلاحي الجو الروسي والإسرائيلي، وهم ما يصطدم بشكل مباشر مع الركائز الدعائية الإيرانية، تلك التي تركزت حول العداء مع إسرائيل، متذرعة بأن إسرائيل هي المستفيد الرئيسي من رحيل الأسد غير أن الخطوة الروسية وضعت طهران أمام

حرج بالغ، خاصة إزاء قواعدها الشعبية في البلدان الإسلامية،ووضعت صدقها على المحك.

ج- أدي التدخل العسكري الروسي ومواقف إيران غير المنسجمة والمتكيفة معه إلي تلكؤ روسيا في التزامها العسكري تجاه إيران، خاصة أنها أجلت إمداد إيران بمنظومة إس-300 إلي أغسطس أو سبتمبر 2016، مما يظهر خلافات حادة وغير معلنة في وجهتي النظر الروسية والإيرانية تجاه استراتيجيات موسكو في المعارك الميدانية المحدودة في سوريا، خاصة أن روسيا أعلنت رغبتها في تبديل الصفقة بأنواع أخري من الصواريخ، غير أن إيران رفضت صفقة المقايضة الروسية.

د- الرفض الإيراني المطلق لإقامة أي كيانات فيدرالية على الأراضي السورية،وهو ما يصطدم على نحو مباشر مع المبادرة الروسية التي تقدم بها سيرجي ريابكوف، نائب وزير خارجية روسيا، الذي أعرب، يوم الاثنين 29 فبراير 2016، عن أمله في أن تتوصل الأطراف المشاركة في مفاوضات جنيف إلي تحويل سوريا لجمهورية اتحادية.

هـ- التعاون الروسي مع الأكراد في سوريا كإجراء عقابي يستهدف اللاعب التركي في المقام الأول، والتفاوض حول إقامة كيان مستقل لهم في مستقبل سوريا وهو ما ترفضه إيران، ويعد بالنسبة لها من أساسيات

sharif mahmoud

العمل في سوريا ذلك أن التعاون مع الأكراد، وإقامة دولة مستقلة لهم وفق منظور إيران سوف ينسحبان على الكتلة الكردية الكبيرة الموجودة داخل الجمهورية الإسلامية وظهر الرفض الإيراني للسلوك الروسي تجاه هذا الملف، من خلال تصريحات الرئيس حسن روحاني، حين أكد أن بلاده لا توافق على أي خطوة تقوم بها روسيا، مؤكداً أن إيران مع وحدة الأراضي السورية وسيادتها على كامل أراضيها.

و- قطع الخط البري الموصول بين طهران وحزب الله، فقد قامت روسيا بعدد من الإجراءات التي تتعارض مع الاستراتيجية الإيرانية في سوريا، التي من أجلها دعمت نظام بشار الأسد، لعل أبرزها التنسيق مع الولايات المتحدة، وفق قرار مجلس الأمن رقم 2268، الذي دعم ما يعرف باتفاق وقف الأعمال العدائية في سوريا، وهو ما يعني التمهيد لإقامة دويلات عرقية/ دينية منفصلة في سوريا، وبالتالي يمنع إيران من الوصول البري إلي جنوبي لبنان، وإمداد حزب الله بالسلاح وعليه، تنذر تلك الخطوة حال تحققها بانتهاء الدور المرسوم لحزب الله إيرانيا على المدي القريب.

ز- مكان بشار الأسد كجزء من مستقبل سوريا فمن الواضح أن هناك تناقضات جذرية في رؤية طهران وموسكو لدور بشار الأسد في المديين القريب والمتوسط فبينما باتت روسيا أكثر ميلاً إلي تخلي بشار الأسد عن

السلطة في المدي القريب، تري إيران أن رحيل بشار الأسد في الشهور الثمانية عشر المقبلة ينذر بهدم تصورات إيران حيال مصالحها، وظهر ذلك على نحو بينٍّ من خلال تصريحات عدد من القادة الإيرانيين يشير الافتراضان السابقان إلي احتمالين، أولهما: أن إيران متكيفة مع التدخل العسكري الروسي في سوريا.

ثانيهما: أن نقاط التعارض بين البلدين صارت أكثر مما كانت عليه قبل التدخل الروسي ووفقاً للمسوغات المتقدمة، فالافتراض الثاني هو الأرجح0

حدود الاختلاف الروسي - الإيراني:

يلعب عدد من القوى الفاعلة في الأزمة السورية دوراً كبيراً في التسريع من وتيرة التباعد الإيراني - الروسي، وإماطة اللثام عن اختلافات وجهتي نظر البلدين -إيران وروسيا- لتناقضات الأوضاع ميدانياً ويأتي على رأس تلك القوى تركيا وأمريكا:

1- تصاعد العلاقات التركية - الإيرانية، خاصة عقب زيارة رئيس الوزراء التركي إلي إيران، والتنسيق معها لتحل محل روسيا في إمدادها باحتياجاتها من الغاز المسال، بعد أن فرضت موسكو عقوبات اقتصادية متعددة على أنقرة، وحرمتها من الخط التجاري التركي - الروسي، فضلاً

عن الغاز الروسي المسال، بسبب أزمة إسقاط الطائرة الروسية سوخوي، وبالتالي لجأت تركيا إلي إيران لتعويض النقص الفادح في الطاقة اللازمة لتدوير المصانع التركية وعلى هذا الأساس، تشير العلاقات التركية - الإيرانية إلي شقاق محتمل في العلاقات الروسية - الإيرانية، لأنه من شأن المعادلة الإقليمية أن تشكل العلاقات التركية - الإيرانية معاملاً عكسياً مع العلاقات الروسية - الإيرانية.

2- اختلاف المواقف الروسية - التركية إزاء ملف الأكراد، وتطابق وجهتي النطر التركية - الإيرانية إزاء الحيلولة دون إقامة كيان كردي مستقل ذلك أن أنقرة وطهران تتفقان على أن الدعم الجوي الذي توفره القوات الجوية الروسية للقوات الكردية يمنح الأكراد طاقة دفع في اتجاه إقامة دولة مستقلة لهم، يكون أحد تداعياتها على كل من الداخل الإيراني والتركي كارثياً، إذ من المرجح أن تسعي الأقليات الكردية في إيران وتركيا إلي إقامة دويلات مستقلة، على غرار التجربة الافتراضية لأكراد سوريا.

3- استراتيجية البوابات المفتوحة، التي دعا إليها رئيس الوزراء التركي، إبان زيارته لطهران يوم 6 مارس 2016، التي قال فيها إن تركيا بوابة إيران إلي أوروبا، وطهران بوابتنا إلي آسيا،وهذا يضمن لنا إمكانيات استثنائية في مجال النقل والدعم اللوجيستي، في عبارة تشير

إلي أن طهران حلت بالفعل محل موسكو في الاستراتيجيات التجارية التركية، لذلك حرص على الالتقاء بـ 160 من رجال الأعمال الإيرانيين، وأعلن رغبة بلاده في أن يصل الميزان التجاري بين البلدين إلي 50 مليار دولار، مما شكل خصماً فورياً من الرصيد التجاري الروسي لمصلحة إيران.

4- حرص اللاعب الأمريكي على دفع إيران للمضي قدماً في مواصلة الانفتاح الاقتصادي على الغرب، كواحد من أهم بنود برنامج الرئيس حسن روحاني الانتخابية، التي وعد بها ناخبيه في ربيع 2013، ويسعي لتحقيقها وهنا، تبدو الحاجة الإيرانية إلي أمريكا متزايدة، وتعكس تلك الحاجة هامشاً أمريكياً متزايداً يعمل على استعادة إيران المحور الغربي، بعد أن خسرته عقب نجاح الثورة الإسلامية عام 1979.

5- الرصد الأمريكي الدقيق لحسابات إيران شديدة التعقيد بسبب السلوك الروسي في سوريا، وتعلم واشنطن أن طهران بدت متكيفة مع هذا الوجود من خلال معطيين بالغي الأهمية، أولا: ثقة إيران تماماً بإخلاص روسيا في الحرب ضد الجماعات الإسلامية، وقد أعلنت صراحة -أي روسيا- أنها تستهدف تنظيم الدولة، فتاريخها حافل بهذا الأمر في أفغانستان، وجروزني على سبيل المثال وعليه، تتكيف إيران ولو جزئياً مع الانخراط العسكري الروسي في الحرب ضد الجماعات الإسلامية، لا

سيما أن كتائبها قد منيت بالعديد من الهزائم، ولم تحقق أي تقدم، باستثناء بعض المعارك الجانبية التي أحرز فيها حزب الله نجاحا.

ثانيا: يتمخض عن التدخل الروسي في سوريا منع الانهيار المفاجئ للنظام السوري، بمعني أن الانتقال المنظم للسلطة، حتى لو كان داخل عائلة الأسد، أو تنازل بشار الأسد عن السلطة إلي القوات المسلحة، على غرار التجربة المصرية، يعد أمراً مقبولاً لإيران وعلى ضوء هذين المعطيين، تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على تشكيك إيران في النيات الروسية تجاه محاربة التنظيمات المعارضة، وتجاه أفضليات طهران فيما يتعلق بانتقال السلطة.

6- تعتمد الولايات المتحدة الأمريكية على مواصلة الحرب الدعائية ضد القوات الروسية في سوريا، من أجل إقناع إيران بأن الخطط الروسية لا تتماشي مع الاستراتيجيات الإيرانية وكثيراً ما خرجت تصريحات غربية تؤكد أن روسيا لا تستهدف تنظيم الدولة، وجبهة النصرة، بل توجه ضرباتها إلي تشكيلات أخري، من بينها الجيش السوري الحر وعليه، تفقد إيران عوامل تكيفها مع التدخل الروسي الحربي في الأزمة.

عليه، يمكن القول إن أنقرة وواشنطن تلعبان دورين مهمين في تعميق الاختلاف الروسي الإيراني الذي ينذر بالتحول إلي خلاف، خاصة بعد أن

أدركت طهران في الوقت ذاته أن التدخل العسكري لروسيا في الأزمة السورية بدا أمام اللاعبين الدوليين والإقليميين أنها أصبحت طرفاً أقل أهمية من فترة ما قبل التدخل الروسي العسكري في الأزمة.

انهيار العلاقات الروسية – الإيرانية

منذ بداية عام 2016 ووسائل الإعلام الرئيسي في الولايات المتحدة ، والدول الواقعة في نطاق نفوذ واشنطن، تتحدث عن تهدم العلاقات بين روسيا وإيران بسبب الصراع في سوريه.

تقارير هذه الوسائل تتحدث بشكل مستمر عن كون روسيا قد أضحت خائفة من إيران أو العكس، أي أن إيران تخشى من روسيا وتتحدث هذه التقارير دائما عن الصراع والشقاق بين الحكومتين الروسية والإيرانية بشأن سوريه وإليك مثالين عن ذلك، ففي 24 فبراير2016 ذكرت صحيفة Financial Times أنه يجب أن تخشى إيران من روسيا وبعد عدة أسابيع قالت Bloomberg أن تقلص حجم الجيش الروسي في سوريه يؤدي إلى خطر الصراع مع إيران .

لكن منذ عدة أشهر والتيارات المتواصلة من التقارير حول الخلاف الروسي الإيراني كانت خاطئة تماماً إنها جزء من حملة تزييف معلومات وتحليلات خاطئة فالعلاقات بين موسكو وطهران مستقرة ، وتعاونهما

استراتيجي وفي الواقع، روسيا تدعم إيران ضد مبادرة الولايات المتحدة في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة والقائلة أن تجارب الصاروخ الباليستي الإيراني انتهاك لخطة العمل الضاغط المشترك JCAP الموقعة بين إيران والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا والصين وروسيا .

وبنفس الطريقة، أطلقت تقارير مضللة وخادعة أخرى عن التوتر الإيرانى الروسي وبعضها كان حول معدلات تصدير النفط الإيراني، وأخرى حول خلاف بين موسكو وطهران يتعلق بتحويل إيران السلاح الروسي إلى حزب الله في لبنان، والكثير كان حول توزيع و تسليم النظام المضاد للصواريخ س 300، روسي الصنع ،إلى الجيش الإيراني.

وبالنسبة للخلاف الروسي –الإيراني بسبب إنتاج النفط الإيراني، فإن التقارير ذات الصلة تركز على مطالب السعودية وروسيا بأن تقوم إيران بتخفيض إنتاج النفط غير أن موسكو قالت أن إيران حالة خاصة وبالتالي تتفهم أنها تعمل لاسترداد أسواق الطاقة التي خسرتها وبذلك استثنت إيران من المطالبة بتخفيض تصدير النفط العالمي وفقاً لتجميد شامل للإنتاج كجزء من مبادرة تهدف لرفع أسعار النفط وخلال زيارته لنظيره الإيراني في طهران منتصف شهر مايو 2016، أعلن وزير الطاقة الروسي ألكسندر نوفاك أن الحكومة الروسية تتفهم موقف إيران

وتتقبله، الذي يطالب بالسماح لإيران باستعادة مستويات الإنتاج التي كانت قبل الحصار.

أما بالنسبة لتقارير الإعلام الإسرائيلي حول الخلاف بين إيران وروسيا بسبب تحويل السلاح إلى حزب الله ، فلم يتم إثبات أي إشارة على ذلك، ولم تطلق الحكومة الروسية أي تصريح ضد إيران، ولم يتم إثبات التقارير الإسرائيلية بأي شكل واقعي.

وفي الكويت وردت تقارير حول إبطال اتفاق س 300 في التاسع من مارس 2016، وفى نفس اليوم أجرت سبوتنيك لقاءاً مع المتحدث باسم الجيش الإيراني ،فرفض هذه الادعاءات وصحيح أنه أصبح معلنا تأجيل تسليم نظام س 300 إلى إيران من قبل روسيا، لكن هذا لا يعني وجود توتر بين موسكو وطهران وقد أنكر كل من المسؤولين الروس والإيرانيين بشكل متكرر التقارير التي تقول أن الاتفاق قد ألغي، فالتأخير حدث بسبب شروط قانونية وأمور تقنية، وفقا لما قاله المسؤولون في موسكو وطهران.

روستيك، شركة تصنيع السلاح المملوكة للحكومة في روسيا، أعلنت أن أول دفعة من س 300 ستسلم إلى إيران ما بين أغسطس وسبتمبر 2016 وبعد حوالي ثلاثة أسابيع من بدء تطبيق اتفاق وقف إطلاق النار

في سورية في 27 فبراير 2016 أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أن روسيا ستبدأ انسحاباً جزئياً من سوريه في 14 مارس 2016 وفي اليوم التالي بدأ الجيش الروسي بتقليص تواجده في سوريه، وهذه الخطوة قدمت على أنها عقبة بين طهران والكرملين ونشرت تقارير تعلن أن إيران محبطة من الخطوة الروسية، وصور الانسحاب الروسي في هذه التقارير على أنه مفاجأة للجانب الإيراني لكن الحكومة الإيرانية أعلنت أن خفض حجم القوة العسكرية الروسية في سورية مؤشر ايجابي على النجاح، ما يعني أن إيران وروسيا قد حققتا أهدافهما الرئيسية داخل سوريه.

علاوة على ذلك، لو كانت الخطوة الروسية تضر بالمصالح الإيرانية في سوريه، لما أسفرت عن قيام الرئيس الإسرائيلي ، في 16 مايو 2016، بمناشدة موسكو ضمان عدم استفادة إيران وحزب الله في لبنان من القرار الروسي المتعلق بتخفيض التواجد العسكري ولم تتفاجأ إيران بقرار الكرملين المتعلق بخفض تواجده العسكري في سوريه، فالضباط والمسؤولون الإيرانيون والروس كانوا يتنقلون ذهاباً وإياباً بين عاصمتي البلدين على امتداد أشهر وهم يتداولون ويخططون بشأن الصراع السوري ومن المستبعد جداً أن يكون قرار موسكو بإعادة تشكيل موقعها العسكري في سورية لم يتم بالتعاون مع الحكومة

الإيرانية أو السورية فطهران وموسكو ودمشق كانت تتشاور بشكل مستمر مع بعضها البعض حول العمليات العسكرية في سورية ولولا التعاون والتصميم الروسي الإيراني في سورية ،لما تم تجسيد اتفاق وقف إطلاق النار والتيار الأحدث من التقارير الزائفة حول التوترات الروسية الإيرانية في سورية يهدف إلى خلق الشك وتوجيه رؤية عملاء الولايات المتحدة فهذا الاتجاه لايهدف إلى تضليل الشعوب أو استهداف إيران وروسيا فحسب، بل أيضاً يهدف إلى خداع أتباع الولايات المتحدة وشخصيات المعارضة السورية في الشرق الأوسط حول حقيقة الوضع على الأرض في سورية، وهي أن المعسكرات المدعومة من الإيرانيين والروس في الشرق الأوسط هي المتفوقة.

وأي كلام حول الخلاف الروسي -الإيراني هو تفكير يعبر عن الرغبة، فكلا القوتين تتحركان تجاه تعاون أعمق عبر مساحة واسعة في أوراسيا من ساحل المتوسط والعراق إلى القوقاز وآسيا الوسطى فليس هناك تعاون عسكري فقط ، فكل من طهران وموسكو تسعيان إلى تعميق العلاقات الصناعية والزراعية والمالية والسياسية 0

ماذا تريد أمريكا من إيران

هذا السؤال لم يكن وليد اليوم، إنما ولد منذ ان أُرْغِمَ السوفييت على مغادرة أفغانستان، ومنذ ان حلَ خميني على رأس السلطة في طهران عام 1979ومع ذلك يظل السؤال هو، ماذا تريد الدولة الأمريكية من الدولة الإيرانية؟

وقبل الأجابة، يجب وضع بعض الحقائق، ليس من باب التفاصيل إنما من أجل وضع قاعدة للأجابة الممكنة، خاصة في هذا الجو المفعم بالغموض، الذي تسوده سياسة خلط الأوراق :

أولاً-يجب أن لا ننسى، أن امريكا لديها مشروع الشرق الأوسط الكبير وهو مشروع يشتمل على كل دول المنطقة بما فيها إيران وتركيا وان هذا المشروع، ليس له سقف محدد لتنفيذه، إنما يعتمد في الأساس على واقع صراع القوى على الأرض، فيما يأخذ مساره في التنفيذ على مراحل وفق زمن النضج السياسي- الاستراتيجي والمراحل هذه تنفيذية صارمة تشمل الأرض والبشر لماذا؟، لأن المشروع معني بمتغيرات جيو- سياسية، وأخرى جيو- ستراتيجية.

ثانياً-أمريكا لا تستطيع أن تتخلى عن أدوات تنفيذ مشروعها، وهي الأدوات الوحيدة القادرة حتى الآن على تنفيذ ما عجزت عنه وكيانها الصهيوني طيلة عقود من السنين وأدوات الوكيل الإيراني هي المعول عليها في تنفيذ هذا المشروع،وهو في الأساس مشروع (بيريز) الصهيوني لقيادة المنطقة وقد اختارت أمريكا إيران لهذا الهدف الذي ينطوي على عداء الفرس للعرب.

ثالثاً-قد يقول البعض، ان مشروع الدولة الأمريكية يصيب إيران وتركياً فكيف تجعل أمريكا من ايران وكيلاً، ويجعل الناتو من تركيا وكيلاً، وكليهما مشمولان بالتغيير؟

نقول : نعم، إنهما كذلك، ولكن ليس على قاعدة التغيير الجيو-سياسية في المنطقة، إنما الشمول يقتصر على متغير الداخل وبما يعزز موقع هتين الكتلتين الأقليميتين في المنطقة بمعنى إشراكهما في قيادة النظام الأقليمي بعد ان ينتهي المعول الطائفي الفارسي من مهمته في الهدم الذي يستمر طويلاً أما بناء المشروع فهو المحفز بعد إخماد الفوضى التي تعتبر الفلسفة السياسية لمشروع الشرق الأوسط الجديد لكن، من غير المنطق أن يستوي استقرار المنطقة على متغيرات يراها مشروع الدولة الأمريكية شاخصاً على الأرض دون ان تدفع الدولة الأمريكية ووكلائها ثمناً باهظاً.

رابعاً-تقوم فلسفة إشراك الوكلاء في هرم قيادة النظام الأقليمي في المنطقة على اعتقاد غير منطقي هو تغيير السلوك وتحويله من سلوك عدواني إلى سلوك عقلاني ويقول مروجوا هذه الفلسفة، إن اليابان قد تغيَرَ سلوكها بعد الحرب والمانيا تغَيَرَ سلوكها بعد الحرب وإن جنوب أفريقيا قد تغير سلوكها بعد الحروب الأهلية الطاحنة وأوروبا فى مجملها قد تغير سلوكها بعد الحربين العالميتين وهذا يعني، بدلاً من الدخول في حرب مع إيران يمكن نزع سلوكها العدواني الخارجي والداخلي عن طريق تنفيذ رغباتها الجامحة في أن تحتل موقعاً في النفوذ القيادي للنظام الاقليمي في المنطقة.

إذن نحن أمام حالة من الهذيان الأمريكي كيف؟ :

1- ان اليابان وظروفها الموضوعية وفلسفتها السياسية، هي ليست إيران ولا نظامها السياسي- الأيديولوجي لكي يقاس عليها.

2- والمانيا هتلر، ليست إيران كنظام سياسي أيديولوجي مذهبي من الطراز الأول، حيث وصفته القيادة الأمريكية ذاتها، بالدولة التي ترعى الأرهاب، والدولة المارقة ومع ذلك تريد أن تعدل السلوك الإيراني ذي النزعة الاجرامية بمعنى، بدلاً من أن تحجر على المجرم، تطلق سراحه لكي يعدل سلوكه بنفسه.

3- كما ان جنوب افريقيا ليست ايران بواقعها وظروفها الموضوعية، ومن الصعب إيجاد قاسم مشترك يربط بين واقعين مختلفين ومتناقضين في التكوين والتشكيل والأعتقاد حتى يصار إلى الاحتكام إلى هذا النوع.

4- أما أوروبا وحروبها فلا قياس عليها، لأختلاف الواقعين، الأوروبي والإيراني كلياً، ولا مجال للأحتكام إلى منطق تراجع الكنيسة أمام الدولة المدنية لأن فلسفة الكنيسة الدينية تعتمد على المنطق العقلي في قياس الأحكام أما مذهب التشيع الفارسي فلا يعتمد على منطق العقل في قياس الأحكام إنما فقط على مبدأ الولاء المطلق لمذهب لا يمت للدين بصلة إنما يستند على نزعة التوسع المذهبي والتوسع الاستراتيجي وكليهما يتعارضان مع الدين وقواعد القانون الدولي.

5- النظام الإيراني لن يتراجع عن نزعته الطائفية، ونزعته التوسعية الجيو- سياسية إلا عن طريق الضغط المستمر واستخدام القوة أو التلويح باستخدامها، لأنه لا يملك غير المراوغة والخداع والكذب المغلف بالتقية وهو الأسلوب الذي يبرع وينخدع فيه العالم ومثل هذا الأسلوب لم يعد يجدي أمام العالم، عدا أمريكا وكيانها الصهيوني، طالما أن القياس في عالم السياسة هو السلوك السياسي الخارجي دون القبول بالتبريرات أو الحجج والذرائع القادمة من عقد التاريخ ونزعته الطائفية التوسعية

قد ثبتها نظام طهران في دستوره رسمياً منذ أن أعلن عن تصدير ثورته عام 1979 إلى العالم العربي والاسلامي وبقية العالم.

6- نزعة التشيع الطائفي على حساب الدين الاسلامي الحنيف، ونزعة التوسع الأستراتيجي الفارسي على حساب المنطقة العربية يعرفها الأمريكيون، وهم مطلعون على تفاصيلها، ولا إشكال في ذلك ما دامت الأداة الطائفية الفارسية تعمل لصالح المشروع الأمريكي الصهيوني القاضي بتدمير كيان الدولة العربية وتدمير روح الدين الاسلامي الحنيف، كهدف مشترك.

7- لما كانت أمريكا كدولة مؤسسات تدرك حقيقة النظام الايراني،التي تجمع بين نزعة التوسع الطائفي ونزعة التوسع الاستراتيجي، فالادراك يسقط كل التكهنات والتفسيرات التي تشيع صراعاً كاذباً بين إيران وأمريكا، وصراعاً مخادعاً بين إيران والكيان الصهيوني، كما يضع الحسابات السياسية والاستراتيجية في نصابها .

8- الادارة الأمريكية ماضية، من خلال أدواتها وعملائها في العراق نحو تكريس واقع التقسيم وهدف التقسيم يعد هدفاً مركزياً للاحتلال وهدف التقسيم هو تفكيك أحد أهم عناصر قوة العراق الأرض والشعب وإفراغه من ثرواته الطبيعية الوطنية لحساب أمن إسرائيل.

9- والحقيقة الشاخصة، في ضوء واقع التكوين المذهبي للشعوب الإيرانية، فالتقسيم سيطال إيران لا محالة، ليس بسبب رغبة خارجية فحسب،إنما بسبب واقع الظلم والقهر والقمع الذي تعانيه الشعوب الإيرانية على مدى التاريخ فهل من مصلحة إيران أن يقسم العراق؟ وهل من مصلحة تركيا أن يقسم العراق؟ وهل من مصلحة الدول العربية أن يقسم العراق؟!

لقد حاولت امريكا، ومنذ عام 2003 تنفيذ التقسيم ووجدت صعوبات بالغة نتيجة تداخل النسيج الأجتماعي العائلي والقبلي والعشائري، بغض النظر عن المذهب والقومية فالعائلة العراقية في معظمها خليط متجانس من السنة والشيعة، من العرب والكرد والتركمان واليزيديين وغيرهم والمسيحيين بمختلف طوائفهم هذا التشكيل وقف حائلاً دون التقسيم على وفق الرغبة الصهيونية والإيرانية والتخطيط الأمريكي لكن الاحتلال عمد إلى إشعال فتيل الحروب الأهلية الطائفية بالتعاون مع النظام الفارسي فأخفق وحاول مرات عدة واخفق وقتل واحرق وفجر الجوامع والمساجد والحسينيات والكنائس واخفق ووضع المتاريس والجدران الكونكريتية كفصل عنصري بين الأحياء والحارات السكنية في المدن العراقية واخفق

حتى بات على يقين من إيصال واقع الصراع والتصادم الى مستوى ارتكاب المجازر والمذابح الطائفية والعنصرية واخفق.

10- إذن وكما نرى بات مشروع التقسيم ينضوي تحت سقف محاربة الأرهاب بغض النظر عن المسميات ويتم من خلال الحشد الدولي الذي تقوده أمريكا، كما يتم من خلال الحشد الطائفي الذي تقوده إيران والحشدان هما اللذان يقع على عاتقهما مهمة تنفيذ التقسيم وقد بدأت بوادر العملية في اجتياحات جرف الصخر ونتائجها، وصلاح الدين وبيجي والفلوجة والأنبار وحزام بغداد ونتائجها الوخيمة والتطبيق العملي هو التغيير الديمجرافي، يصاحبه القتل والحرق وتهجير الملايين في العراء.

11- التقسيم على الأرض يأخذ شكل رسم خرائط جغرافية ولا يهم في ذلك البشر،وهويتهم القومية والمذهبية لها وسائلها في التدمير والتذويب والتهجير لتبقى الأرض المحروقة.

12- أمريكا،على اطلاع كامل وتعرف بالتفصيل ماذا تفعل وماذا يحدث ولا يجدر بأحد ان يتكهن بخلاف ذلك وهي ظاهرياً تدعي أنها لا تملك استراتيجية لمعالجة حالة معقدة هي خلقتها ولا تريد معالجتها أبداً لأن

من مصلحة الكيان الصهيوني أن يستمر التدمير والأضعاف والتفكيك وإيران مستعدة لهذه المهمة إلى آخر مدى.

13- أما الملف النووي الإيراني ومفاوضاته ، فلا نهاية تبعث على وضع الوحش الفارسي في قفص، ولا بارقة أمل في الأمن والاستقرار في المنطقة وليس من مصلحتها اغلاق الملف النووي هي تستطيع ذلك بدون حرب إن أرادت، لكنها لا تريد لأن النظام الفارسي وهو يتفاوض يعمل على التوسع الطائفي الأستراتيجي ليفرض واقعاً جديداً قد يفيده في فرض الأمر الواقع وتكريس النفوذ الفارسي وبالتالي يجعل نفسه احد اعمدة نظام الأمن الأقليمي في المنطقة،نظام اقليمي لا وجود فعلي للعرب فيه، ومثل هذا النظام الذي تتحكم فيه قوى اقليمية ودولية استعمارية لا تبقي على الهوية القومية العربية، كما لا تبقي على الدين الاسلامي الحنيف والبدائل هي الطوائف التي تتحكم والقوميات الأقلية تتشرذم اما الحديث عن التاريخ والحضارة العربية الاسلامية فلا وجود له في مناهج تعليم الصغار والكبار.

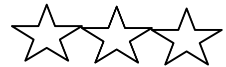
14- مفاوضات الملف النووي الإيراني لعبة كبيرة على طريق التحولات الجيو استراتيجية في المنطقة، تلعب فيها الترويكا الأوروبية دوراً بارزاً في التسويف ريثما تنضج شروط التحولات الذاتية وظروفها الموضوعية، فيما النظام الفارسي ماضٍ في تنفيذ نزعة التوسع الطائفي

ونزعة التوسع الاستراتيجي في المنطقة في آن واحد، وأمام أنظار الجميع.

لا خيار أمام الشعب العربي والأنظمة العربية سوى التصدي الجاد والكامل للمشروع الفارسي بكل الوسائل الممكنة والمتاحة، بلا مهادنة ولا تراجع واعتماد مبدأ الأولويات الاستراتيجية، وهو ضرب رأس الأفعى الفارسية أولاً دون الأنجرار إلى صراعات جانبية أخرى والضرب على مستويات، ومنها الضرب في العمق طالما كان الداخل الفارسي هشاً وضرب الأطراف والزعانف وتفكيك الخلايا وتشتيتها ومنعها من تنفيذ أوامر رأس الأفعى القابع في طهران.

الباب الرابع

إيران والقوى الدولية والتوتر الطائفى



لاعبون لتمكين بشار:

هناك عدة أطراف لعبت لتمكين النظام في استمرار التصدي للثورة هي: إيران - حزب الله - روسيا وسنلقي الضوء على دور كل طرف من الأطراف التي تدعم النظام السوري المجرم:

أولاً: إيران:

لعبت إيران دوراً رئيسياً في دعم النظام منذ بداية الثورة، وقد قدمت هذا الدعم منطلقة من مصالح طائفية، ونستطيع أن نؤكد أنه لولا هذا الدعم لسقط النظام خلال شهر أو شهرين، وتنوعت أشكال الدعم الإيراني لسوريا فقد اشتملت على:

أ- الدعم المالي: حيث ضخت إيران مليارات الدولارات من أجل دفع رواتب موظفي النظام ورجال الجيش، وموظفي أجهزة الأمن، ولولا هذا الدعم المالي لأفلس النظام وانهار بأسرع مما نتصور.

ب- الدعم الاقتصادي: فقد أمدت إيران النظام السوري بالوقود الذي يحتاجه في تحريك آلته العسكرية وبمختلف المواد الاقتصادية التي يحتاجها في وجوده وحياته.

1- أزمة سوريا والقوى الدولية من ص 60-72 اسامة عبد الرحمن0

ت- الدعم المخابراتي: فقد وضعت إيران خبراتها في استعمال الأجهزة الالكترونية من أجل التنصت على جماهير الشعب،وفي كيفية تفريق المظاهرات، وفي أساليب انتزاع الاعترافات من المعتقلين تحت يد أجهزة أمن النظام السوري مما ساعده في رفع كفاءة أجهزته الأمنية وزيادة قدرته على التصدي للثورة.

ث- الدعم العسكري:دعمت إيران النظام السوري بالأسلحة حيناً، وبالخبراء العسكريين حيناً آخر، وبالجنود حيناً ثالثاً، وقد أكد الحقيقة الأولى مصادرة تركيا لشحنات أسلحة كانت محمولة في طائرات إيرانية عبر الأجواء التركية، وقد أكد الحقيقة الثانية اعتقال الجيش السوري الحر لعدد من هؤلاء الخبراء في مناطق مختلفة من سوريا.

ثانياً: حزب الله:أيد حزب الله النظام السوري علناً، وصرح بالوقوف إلى جانبه، ودعمه، وقد أكد أهل الثورة في الداخل أن هناك مقاتلين من حزب الله يقفون إلى جانب النظام ويتصدون للثورة السورية وتعدت مساندة حزب الله النظام السوري داخل سوريا إلى مساندته في لبنان، فهو يتجسس على السوريين الهاربين من بطش النظام،ويساعده على اختطافهم وإرسالهم إلى سوريا.

ثالثاً: روسيا: يمكن أعتبار روسيا عاملاً رئيسياً في دعم النظام السوري، وفي تغذية قدرته على البطش والقتل والتدمير من خلال دورين: سياسي، وعسكري.

أما الدور السياسي فروسيا هي التي وقفت في المحافل الدولية مانعة أية إدانة للنظام، ومدافعة عنه، وحائلة دون اتخاذ قرار من مجلس الأمن تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، وهو الذي يسمح باستعمال القوة لحماية المدنيين أما الدعم العسكري فهي الدولة الرئيسية في بيع السلاح له، وفي تجديد ترسانته العسكرية، وفي تمويله بكل ما يحتاج من أجل قتل الشعب السوري.[1]

إيران:

بعد تراجع وهج ثورة الخميني وتبيّن بطلان وعود تحقيق العدالة والمساواة، تحول الحكم الإيراني خلال العقدين الماضيين لنظام ديكتاتوري بنفس الأسلوب الدّيكتاتوري العربي جوعوا، امرضوا، أطيعوا ، ونحن القيادة نقرر من هو عدوكم ومعارككم ونحن من يتنعم بالرفاهية وكلنا نذكر كيف تم قمع ثّورة الشّباب في إيران بعد انتخابات 2009 بأسلوب دموي ناري ومن بين مبررات بقاء النّظام الإيراني كأي نظام

1-الدور الروسى فى الأزمة السورية ص 59 وما بعدها –أسامة عبد الرحمن0

ديكتاتوري الإبقاء على شبح التّهديد الخارجي القادم من إسرائيل والغرب، لذا ازداد التحالف بين الحكمين الإيراني والسّوري قوة وحكام إيران رغم أنهم أقوى وأغني من نظيرهم السّوري إلا أن فقدان هذا الحلف الوثيق يفقدهم كثيراً من الأوراق الأساسية التي يملكونها في المنطقة لذلك فالخيار الإيراني كان واضحاً بضخ كل الدّعم المطلوب خاصة المالي للنظام السّوري لإبقائه حياً فإيران بحاجة لوجود حكم حليف في سوريا لأنه يشكل بالنسبة لإيران ممراً أساسياً نحو منطقة الشرق الأوسط بالذات نحو لبنان وفلسطين وأوروبا ودول الخليج العربي وفقدان إيران لهذه البوابة يعني محاصرة إيران بين أعدائها ويهدد نفوذ إيران القوي فى العراق.[1]

الحلف الرباعى بين العراق وإيران وسوريا وروسيا:

عبارة عن مركز استخباراتي معلوماتي مقره بغداد نشأ نتيجة تحالف استخباراتي دولي بين كل من (ايران العراق سوريا روسيا)،وتم افتتاحه في نهاية 2015 .

1-الدور الروسى فى الأزمة السورية ص 71-72 –أسامة عبد الرحمن0

ظهر تنظيم داعش منذ سنة 2003م، في العراق وفي عام 2013، توسَّع إلى سوريا، وتبنى اسم الدولة الإسلامية في العراق والشام، ثم تمكن من السيطرة على العديد من المدن في البلدين وفي عام 2014 دعت الإدارة الأمريكية لتشكيل تحالفاً دولياً لمواجهة تنظيم داعش ووافق عدد من الدول الأوروبية والعربية والشرق أوسطية على المشاركة لكن شككت الحكومة السورية فى أهداف التحالف الدولي معتقدةً، أنّ الأهداف الحقيقية لهذا التحالف هو تدمير سوريا، لا سيما أن معظم الدول المشاركة في هذا التحالف سعت منذ سنوات لإسقاط نظام الأسد حيث قال بشار : كيف يمكن للولايات المتحدة وحلفائها أن يقوموا بمكافحة الإرهاب وفى نفس الوقت أقرب حلفائهم، في حكومة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، يقومون بدعم الإرهابيين؟.

ورفضت روسيا الانضمام للتحالف معتبرةً أن نشاطه غير شرعي ومن دون تفويض أممي وطلب الحكومة السورية حيث أشار المندوب الروسي بأن أعضاء التحالف تلقوا موافقة الحكومة العراقية لكنهم لم يحصلوا على موافقة الحكومة السورية ووصف الرئيس الإيراني، حسن روحاني، هذه العمليات بغير الشرعية وفي نهاية سبتمبر 2015، قررت روسيا وإيران وسوريا والعراق إنشاء مركز معلومات يضم ممثلي هيئات أركان جيوش الدول الأربع ويهدف المركز لجمع ومعالجة وتحليل

المعلومات عن الوضع في منطقة الشرق الأوسط وتوزيعها على هيئات أركان القوات المسلحة للدول المشاركة في المركز وذلك لتنسيق العمليات العسكرية لمحاربة تنظيم داعش.

وسيترأس العراق المركز لمدة 3 أشهر، وفقا لما تم الاتفاق عليه بين الدول الأربع، وسيتناوب ادارة المركز بين ضباط من سوريا والعراق وإيران على ألا تتجاوز فترة إدارة كل طرف ثلاثة أشهر وأشار الرئيس الروسي الى ان إنشاء مركز المعلومات بهدف توحيد جهود دول المنطقة في مواجهة الإرهاب وتنظيم داعش من خلال تشكيل لجنة لتنسيق العمليات وإدارة قوات روسية وسورية وعراقية وإيرانية في محاربة داعش وأشار المندوب الروسي إلى أن محاربة داعش بجهود مشتركة قد تساعد أطراف الازمة في سوريا على إيجاد سبل تسوية الخلافات بينها.[1]

<u>روسيا تدخلت فى سوريا بعد تزايد الدور الإيرانى</u>

ونقل بلاك عن أحد الدبلوماسيين الغربيين قوله يعتمد النظام السوري بشكل متزايد على إيران حيث تظهر بصماتها واضحة على الوضع في

1- الدور الروسى فى الأزمة السورية ص 79-80 –أسامة عبد الرحمن0

البلاد وأكد الكاتب أن إيران لا تحتاج لإرسال قواتها فهي تعمل مع ميليشيا حزب الله اللبناني والميليشيات الشيعية من أفغانستان وباكستان والعراق ويشير إلى أن الدور الإيراني المتزايد في سوريا هو ما دفع الروس للتدخل العسكري، فدور موسكو هو تعبير عن عدم ارتياح من التأثير الإيراني على النظام، وعلى خلاف الحضور الروسي البارز للعيان في ميناء اللاذقية يحاول المستشارون الإيرانيون الابتعاد عن الأنظار، خاصة في جبهات الحرب.

الخوف من الدور الإيراني

ونشير هنا للدعم المالي والاقتصادي للنظام السوري منذ عام 2011 الذي شمل توفير النفط ومواد أخرى، كما ساهمت إيران فى إنشاء قوات الدفاع الشعبي وهي ميليشيات موالية للنظام تعمل خارج إطار قوات النظام وتوقفت إيران في الأشهر الأخيرة عن دعم قوات الدفاع الشعبي وهو ما زاد من المشاكل التي يعاني منها النظام واعترف الأسد بها وبحسب الشائعات التي يتناقلها أهل دمشق فهناك عدد من المسؤولين البارزين غير مرتاحين للدور الإيراني، وبسبب الحاجة إليهم فهم مضطرون للاعتماد عليهم.

وكدليل على النفوذ الإيراني المفاوضات التي أجراها الإيرانيون وحزب

الله مع المعارضة حول وقف إطلاق النار في الزبداني كما فعلوا فى حمص.

وقام الإيرانيون بالتفاوض مع أحرار الشام في إدلب حيث عرض الإيرانيون تبادلاً سكانياً بين السنة والشيعة ينقل فيها سكان قريتي كفرية والفوعة إلى السيدة زينب جنوب دمشق.

ويعلق فيصل عيتناني من المجلس الأطلنطي قائلاً إن إدارة إيران لأزمة الزبداني يشير إلى تحول في استراتيجيتها السورية، فهي إما تتفاوض نيابة عن الأسد أو تتجاهله والمجموعة المقربة منه كي تؤمن مصالحها الخاصة بطريقة مباشرة وبهذا الصدد ذكرت تقارير إسرائيلية غير مؤكدة أن الحرس الثوري أرسل مئات من مقاتليه للمشاركة في الزبداني.

سوريا والخذلان العالمي

الناظر إلى واقع أمتنا الإسلامية اليوم يرى من مظاهر الضعف والخذلان والهوان ما يندى له الجبين، وما يكون باعثاً على الحزن والألم أصبحت أمة الإسلام اليوم محط أطماع المشرق والمغرب، جلسة واحدة أمام نشرة الأخبار لا تكاد تسمع فيها إلا مآسي للمسلمين في مشرق البلاد أو في مغربها، مـآسٍ تتجدد يوماً بعد يوم، وسنة بعد أخرى!

sharif mahmoud

إن هذه الحالة المهينة التي تعيشها الأمة الإسلامية تُذكِّرنا بقول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه حين أخبرنا في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه من حديث ثوبان رضي الله عنه ـ قال ص : (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)، قالوا: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: (بل أنتم يومئذ كثير) كثير؟! أجل ما أكثرهم اليوم تأمل: كم هي أعداد المسلمين؟ ما يقارب مليار ونصف ومع هذا قال ص: ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قالوا: يا رسول الله، وما الوهن؟قال: حب الدنيا،وكراهية الموت [أخرجه أبو داود برقم (4297)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (111/4)]، هذا هو واقع الأمة اليوم، وإلى الله المشتكى0

لقد بليت أمة الإسلام بمدٍّ نفاقي باطني تآزر مع الصهيونية والصليبية لإبادة الأمة المسلمة، لقد اقتسموا الأدوار في احتلال البلدان، فالباطنيون من الرافضة هم من أعان الصليبيين على غزو العراق وأفغانستان، وارتكبوا أفظع الجرائم في أهل السنة،وهاهم اليوم يمارسون حرباً ضروساً أمام إخواننا العزل المخذولين من العالم أجمع.

لقد كان الباطنيون من النصيرية والرافضة المجوس منذ القدم عوناً لأعداء الأمة أياً كانوا، أليسوا هم من أعان التتر على إسقاط الخلافة

الإسلامية، وسمحوا لهم بدخول بلاد المسلمين؟! فقتلوا في بغداد وحدها عاصمة الخلافة آنذاك أكثر من مليوني مسلم موحد بمعونة هؤلاء المجوس قاتلهم الله.

إن هذا الخذلان لإخواننا وأخواتنا في أرض الشام لهو عند الله عز وجل عظيم، أين من يسمع صرخاتهم ويجيب دعواتهم؟ كم حرة شكت وبكت فلا مجيب ولا مغيث آلاف من الحرائر تُنْتهك أعراضهن ولا أحد يناصرهن، أو يقوم بالدفاع عنهن.

بالأمس يوم كنا سادة الدنيا صرخت امرأة واحدة في عَمُّورِيِّة فتناقل المسلمون خبرها بلداً بعد بلد، وصرختها رجل بعد رجل حتى وصل الخبر إلى الخليفة المعتصم، فلما سمع نداءها وهي تقول: وا معتصماه! قال: لبيك يا أختاه، وأَقسم بالله أن ينصرها، فجهَّز جيشاً عرمرماً عظيماً حتى أذل الروم، وانتصر لتلك المسلمة! أما اليوم!

فرب وا معتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتم

لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

إي والله، كم من حرة في أرض الشام هتك عرضها، وامتلأ بابن الزنا حشاها، وهي الراكعة الساجدة، العفيفة الطاهرة، ذات الوجه المتوضئ،

من المحصنات الغافلات المؤمنات، يتوارد عليها جنود الطاغية صباح مساء، والعالم كله يرى ذلك ويسمع، ولا مجيب، ولا مغيث.

إننا والله سَنُسئل بين يدي الله عز وجل: ماذا قدمنا لإخواننا؟! بعضنا لا يزال مشغولاً بخاصة نفسه همه الدرهم والدينار، يغضب لغضبه ويرضى لرضاه، أما المسلون فلا بواكي لهم، وبعضنا لا هم له إلا متابعة المباريات،والدوري الأوروبي ،وملاحقة فلان وفلانة من اللاعبين والفنانين، وتَتَبُّع أخبارهم وحياتهم الشخصية، ولا تكاد تجد في تاريخه أو في قراءاته ووقته متسعاً لإخوانه المسلمين؛ لينشر قضيتهم، ليتفاعل مع أحداثهم، ليجود عليهم بما جاد الله عز وجل عليه به، إن سلاح المال والدعاء لا يعجز عنه أحد، وإن العناية بقضية إخواننا في الشام ونشرها على أوسع نطاق لهو من أقل واجباتهم وحقوقهم علينا، وإنه ليس من عذر لأحد منا يرى ما يحدث لإخوانه من مجازر في سوريا، وفي بورما، وغيرها، ثم لا نراه يحرك ساكناً، ولا يبذل ما يستطيع والدور الأول والأكبر والأعظم على الولاة وعلى العلماء؛ فإن مسؤوليتهم عند الله عظيمة، وإن الله سائلهم عن هذا الأمانة التي قَلَّدهم الله إياها.

لقد حفظ لنا التاريخ أسماء بارزة من علماء الأمة ممن كانت لهم مواقف صدق؛ كأمثال شيخ الإسلام ابن تيمية والعز بن عبد السلام رحمهما الله تعالى حينما واجهوا التتر، فكانت لهم مواقف عظيمة،

ومشهودة سطرها التاريخ بمداد من الذهب فالعالم الحق هو من يعيش قضايا أمته، وتكون له مواقف صدق ونصرة لإخوانه المسلمين.

إن هناك خذلانا بيناً من كثير من المسلمين تُجاه إخوانهم في أرض الشام، أين المثقفون والكتاب الذين ملؤوا الدنيا ضجيجاً دفاعاً عن باطل، ونصرةً لمنكر، أو تتبعاً لأخطاء أهل الحسبة والدعاة إلى الله عز وجل؟! أين هم من إخوانهم؟ أين أقلامهم في نصرة هذه القضية؟ أليس أحرى بنا أن نكون على مستوى الحدث؟ أين دور التجار أرباب الأموال الذين يملكون الملايين؟ ينفق أحدهم على خاصة نفسه بسرف وسخاء، أما على إخوانه فيقدم رجلاً ويؤخر أخرى إن الله سائلك عن مالك: من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ وربنا جل وعلا أمرك وأمرنا جميعاً بنصرة إخواننا، فقال عز وجل: (وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) [الأنفال: 72]، يجب عليكم النصر بما تستطيعون.

لقد اجتمع على إخواننا في سوريا اليوم قَسْوة العدو، وقلة الطعام، وانقطاع الكهرباء، والفقر والمرض والتهجير، ومؤازرة الباطنيين، ومكر المنافقين.

إبادة جماعية في سوريا

حين أراد الله تعالى عمارة أرضه بالبشر أخبر ملائكته عليهم السلام بأنه جاعل في الأرض خليفة (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة:30] فلم ينف سبحانه عن هذا البشر أنه سيفسد في الأرض ويسفك الدم، وبين أن الجهل والظلم صفتان في الإنسان إلا أن يزيل الجهل بالعلم، ويدفع الظلم بالعدل (وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [الأحزاب:72]. وسار الإنسان في الأرض بظلمه وجهله على وفق ما أخبر الله تعالى عنه، وأفسد فيها وسفك الدماء على ما ظنه الملائكة فيه وقال أول إنسان قُتل على الأرض (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ) [المائدة:28] فما منعه إلا إيمانه وخوفه من الله تعالى، وبإيمانه أزال جهله وظلمه، لكن أخاه المقابل له بقيت فيه صفتا الجهل والظلم فلم يزلها بالإيمان بالله تعالى والخوف منه سبحانه (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ) [المائدة:30] ولاحظوا قوله تعالى (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ) إنها النفس الظلوم الجهول التي وصف الله تعالى بها الإنسان، لم تصبر طويلاً عن ممارسة الظلم

sharif mahmoud

والجهل؛ إذ إن هذه الحادثة وقعت في بدايات الهبوط البشري إلى الأرض وسُكناها0

ورغم كل هذه المذابح والمجازر التي نقل بعضها للناس عبر الشاشات، وهي مجازر يشيب من هولها الولدان فإن القوى الظالمة المستكبرة لم تدرج النظام النصيري في قوائم الإرهاب التي جعلتها سوطا على المقاومين للظلم والطغيان، وأدرجت في قائمتها الانتقائية بعض من سعوا لرفع الظلم عن أهل الشام لنعلم حقيقة واحدة أخبرنا الله تعالى عنها بقوله (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [البقرة:120] وإلا فما ذنب أهل الشام يعذبون ويقتلون، وتغتصب نساؤهم، وتهدم ديارهم على رؤوسهم، وينحر أطفالهم، وتمنع عنهم الأرزاق ليموتوا من الجوع؟! وفي الأيام القليلة الماضية قذفوا الأبرياء بالأسلحة السامة المحرمة دولياً، ولما أخرج الجوع الضعفة والعزل منهم، واصطفوا حول المخابز لينالوا بلغة من عيش تدك الطائرات تجمعاتهم فتبيدهم وتهدم مخابزهم، ليموت البقية منهم بالجوع فإذا لم تكن هذه هي الإبادة الجماعية التي تحرمها قوانينهم الدولية، وتمنعها، وتعاقب عليها، فما هي يا ترى الإبادة الجماعية؟!

زيادة التوتر الطائفي بسبب تصرفات إيران

كما وصف دمشقيون سوريا كبلد يحتله الإيرانيون، ويعترف بعض المؤيدين للنظام بالنفوذ الإيراني، وينقل عن محام قوله يمكن للإيرانيين السيطرة على كل شيء لأنهم يحملون كل المفاتيح، لكنهم سيواجهون السعوديين والأمريكيين والمجتمع الدولي، ولهذا السبب فهم يمارسون دورهم بهدوء، ويحتفظون بأوراق اللعب للعبل بها في الوقت المناسب، نعم لديهم رجالهم هنا.

وأثر الدور الإيراني على العلاقات بين السنة والشيعة وزاد من التوتر الطائفي، وينقل عن صحفي شيعي قوله دور إيران في سوريا مهم ويتزايد، وهناك مبالغة فيه، ولإيران أجندة وطنية لكن الجميع يرى أنها تساعد فقط الشيعة ورغم تزايد الثقة الإيرانية بعد توقيع الاتفاق النووي إلا أنه من الصعب عليها نيل ثقة الجماعات المعادية للأسد وأنها لا تبغي إلا الخير للسوريين.

وعن إبراهيم حميدي صحافي سوري في لندن، قال كلما تحدث الإيرانيون عن السيادة السورية قاموا بخرقها، وكلما تحدثوا عن الهوية الوطنية قاموا بتعزيز الهوية الطائفية فالإيرانيون يفعلون عكس ما يقولون ويشبه حميدي الدور الإيراني في سوريا بدور الأخيرة في لبنان حيث قامت بخلق عملاء ووكلاء لها ولعبت على توازن القوى.

sharif mahmoud

قام حكم البعث منذ توليه الحكم في سورية بترسيخ الإرث الفرنسي المتمثل في نظام حكم مدني ضعيف وأحزاب سياسية لا تملك نظرية سياسية ناضجة، في مواجهة مؤسسة عسكرية تشكل عنصر التوازن الفعلي في الإدارة المحلية والأمن وتبسط نفوذاً كبيراً على جهاز الحكم المدني بالاعتماد على الأقليات الطائفية التي استند عليها الفرنسيون لإضعاف المقاومة التي قامت ضد سلطة الانتداب.

فقد أدرك قادة البعث منذ الأيام الأولى لانقلابهم في مارس 1963؛ أن الشق الحزبي المدني هو الحلقة الأضعف بين الفئات المتصارعة على السلطة، فأعطوا لمؤسساته نمطاً شكلياً يقتصر على الإدارة، وعززوا سلطات المؤسسة العسكرية والأمنية في الحكم، بالاعتماد على العنصر الطائفي - العشائري باعتباره الضامن الأفضل للمحافظة على معادلة توازن الحكم في كيان جمهوري لم يُتَح للحكم المدني فيه مجال التطور التدريجي والنضج المؤسسي.

ويمكن ملاحظة تفوق العنصر الطائفي منذ الأيام الأولى لحكم البعث في تشكيلة اللجنة العسكرية التي تزعمت الانقلاب، وعلى رأسهم: الضباط العلويون؛ محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد وسليمان حداد وعثمان كنعان، والإسماعيليان: عبد الكريم الجندي وأحمد المير، والدرزيان: سليم حاطوم وحمد عبيد.

وشهدت الفترة التالية انقلابين آخرين في عامي 1966 و1970، نتج عنهما سلسلة تصفيات دموية استخدمت فيها العصبية العشائرية والطائفية في الصراعات الداخلية بين أقطاب البعث بصورة لم يسبق لها مثيل.

وإثر انفراد حافظ الأسد بالسلطة عام 1970، بادر بترسيخ البنية العشائرية الطائفية في صفوف المؤسستين الأمنية والعسكرية، وربط توازن نظام الحكم بمجموعة من الفرق العسكرية والأجهزة الأمنية التي تغلغلت في أجهزة الدولة، وسيطرت على الحياة العامة، وقد تغلب في هذه الأجهزة العنصر العلوي، حيث بلغت نسبة الضباط العلويين في الجيش السوري نحو 80 في المائة، أما العشرون في المائة الأخرى فهي مقسمة بين سائر طوائف المجتمع الأخرى.

فقد أحاط حافظ الأسد نفسه منذ الأيام الأولى لتوليه السلطة بعدد من الأقارب الذين بقى بعضهم معه في الحكم حتى وفاته وإثر وفاة حافظ الأسد عام 2000، سار الرئيس الجديد بشار على نهج والده في ترسيخ البنية الطائفية للمؤسسات الأمنية والعسكرية ومن خلال عملية التعيينات التي أجراها بشار خلال الفترة 2000-2011، يمكن رسم صورة واضحة للمجموعة العسكرية والأمنية حول الرئيس الجديد0

تطبيق مفهوم تمكين الأقليات فى الأزمة السورية:

في مقابل الجهود الغربية لدعم الأقليات وتمكينها في العالم العربي، يشن الإعلام الغربي حملة ضد التوجهات الدينية لدى السنة في سورية، ويشارك في هذه الحملة أقطاب اللوبي الإيراني في واشنطن، والصحفيون المتعاطفون مع الكيان اليهودي، وبعض مؤسسات اليسار المعادية لحكومات الخليج الداعمة للثورة السورية.

والمنظمات الحقوقية الغربية تناغمت مع هذه الحملة، حيث نشرت مجموعة تقارير تتهم مقاتلي الجيش الحر بارتكاب مجازر وانتهاك حقوق الإنسان، وتحذر من خطر هذه المجموعات المسلحة على الأقليات التي باتت تخشى من ممارسات الجيش الحر.

وقد مثلت هذه الحملة ظاهرة دفعت بمجلة إكسبرس الفرنسية إلى نشر دراسة حول نشاط الصحفيين الغربيين المدافعين عن النظام السوري، وحثّ دولهم على صيانة النظام القائم خوفاً من المجهول، والتحذير من خطر التيارات الدينية المتشددة في سورية على الأقليات والأمن الإقليمي.

ولم تقتصر الحملة على مؤسسات الإعلام ومنظمات حقوق الإنسان، بل انخرطت مجموعة من مراكز البحث الغربية في التحذير من انتشار

التطرف الديني في صفوف الثوار السوريين، ومخاطر تنامي تلك التوجهات على أمن الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة، ومن أبرزها: معهد دراسات الحرب في واشنطن الذي أصدر دراسة تحت عنوان: الجهاد في سورية تناولت فيها الباحثة إليزابيث أوباجي العلاقة بين الإسلام والإرهاب، وتتبعت تغلغل عناصر القاعدة في صفوف الثوار، ثم خرجت بنتائج لا تعكس أي موضوعية أو استيعاب لطبيعة المجتمع السوري وبنيته.

فقد قسمت الدراسة غالبية أبناء الشعب السوري من حيث مستوى التشدد إلى أربع دوائر تتضمن: المسلمين، ثم الإسلاميين، ثم السلفيين، وأخيراً الجهاديين، وتبنّت الباحثة مفهوم العلمانية باعتباره رديفاً لمفهوم الاعتدال،رغم اعترافها بأن غالبية عناصر الجيش الحر لا ينتمون إلى أي تنظيم سياسي، وأن كتائبه تدير المناطق المحررة بطريقة تعكس التسامح التقليدي الذي جبلت عليه الشخصية السورية.

ودلّلت الباحثة على تنامي التطرف من خلال الحديث عن انتشار سمات التدين المتمثلة في استخدام الكتائب شعارات تحمل معاني دينية، مثل: لا إله إلا الله والله أكبر، وإطلاق أسماء ذات طابع ديني أو مستوحاة من التاريخ الإسلامي على الكتائب المقاتلة، وبروز مظاهر التدين الشخصي لدى المقاتلين؛ كالمحافظة على الصلوات، وإطلاق اللحية التي

اعتبرتها الباحثة إرثاً سلفياً يعكس التوجهات الراديكالية لدى بعض الكتائب.

يدعونا ذلك للتأكيد على خطورة ربط الإعلام الغربي التدين بالتطرف في خلط متعمد يقصد به الإساءة إلى الغالبية من أبناء المجتمع، وتقديم مبرّرات لتدخل القوى الغربية في حماية الأقليات ودعم مشاريع تمكينهم من مؤسسات الحكم بدعوى الخشية على مصيرهم في حال آلت السلطة إلى الغالبية من أبناء المجتمع.

وكان أحد أبرز مستشاري وزارة الخارجية الأمريكية قد نشر مقالاً يحلل فيه ظاهرة الاصطفاف الطائفي الذي ينذر بانفجار صراع إقليمي يصعب السيطرة عليه ورأى الكاتب أن المحافظة على بنية النظام، متمثلة في: الجيش وقوى الأمن وهيمنة العنصر العشائري في مفاصل الدولة؛ هي الضامن الوحيد لمنع سورية ومحيطها الإقليمي من الانزلاق إلى حرب طائفية، كما أنها تمثل نقطة الالتقاء بين الساسة الغربيين والروس في حل وسط ينهي حالة الجمود في مجلس الأمن.

وأضاف قائلاً: إن بقاء نظام الأسد القمعي العلوي بعد مغادرة بشار هو خيار مرٌّ المذاق، لكن البدائل الأخرى على أرض الواقع أسوأ من ذلك، هذا هو الخيار الأقل سوءاً وفي إشارة إلى تبني الإدارة الأمريكية هذا

sharif mahmoud

الرأى، أكد وزير الدفاع الأمريكي خلال جولته الأخيرة في المنطقة في نهاية شهر سبتمبر 2012؛ ضرورة المحافظة على بنية الجيش ومؤسسات الأمن في سورية خلال مرحلة ما بعد الأسد، مشدداً على أهمية الاستفادة من التجربة العراقية في هذا الصدد.

وتظهر من هذه التصريحات ملامح سياسة الإدارة الأمريكية لمرحلة ما بعد بشار الأسد، التي تنطلق من محورين رئيسين:

1- تبنّي سياسة التفتيت التي انتهجتها الإدارة الأمريكية في العراق، من خلال تعزيز دور المجموعات خارج إطار الدول، التي تقوم على أسس دينية وطائفية، وتشجيعها على الإسهام في العملية السياسية باعتبارها الضامن الأساس لمنع الحركات الإسلامية من الانفراد بالحكم.

2- المحافظة على البنية التحتية للمؤسسة العسكرية والأمنية الطائفية العشائرية في سورية باعتبارها القوة الوحيدة التي أثبتت قدرتها في المحافظة على أمن إسرائيل ومنع الأزمة من الانتشار عبر الحدود ولا يأتى ذلك إلا من خلال إضعاف الجيش الحر، ومنع إمدادات الأسلحة النوعية عن كتائبه حتى لا تكون قادرة على تدمير البنية التحتية لفرق النظام.

ومن خلال استقراء المبادرات الدولية التي تقودها كل من الولايات

sharif mahmoud

المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا؛ يمكن القول إن هذه الدول تسعى إلى احتواء الأزمة من خلال تحقيق التوافق مع روسيا والصين في الإبقاء على النظام، مع تغيير قيادته المتمثلة في بشار الأسد وبعض قادته الأمنيين والعسكريين.

ونظراً لأن مبادرات هذه الدول تنطلق من تقدير مصالحها، فإنها لم تتمكن من فهم حقيقة أن الثورة قد قامت ضد المنظومة الفكرية والنظام الحاكم على حد سواء، وأن الاستجابة لهواجس المنطلقات الأيديولوجية لنظام الأسد ستؤدي إلى تعميق الأزمة وتفجير الموقف الإقليمي بدلاً من تأمينه.

ففي دراسة قيّمة للمكونات الاعتقادية للنظام، رأى ثيو باندوس أن الخطر الكامن في الأزمة السورية يتمثل في تعامل النخبة السياسية في القصر الجمهوري مع الثورة وفق خلفياتها الاعتقادية، التي تزداد تطرفاً وعنفاً مع استمرار الضغط الدولي والعقوبات الاقتصادية.

والحقيقة هي أن نزوع المعارضة إلى التخفيف من حدة الاحتقان الطائفي، ومحاولة احتواء الفتنة الطائفية التي يؤججها النظام؛ قد دفعت بهم إلى تجاهل عنصر خطير من مكونات بنية الاعتقاد لأركان النظام، والقائمة على المغالاة في تأليه القيادة السياسية وازدراء معتقدات

الغالبية من أبناء المجتمع، وممارسة ذلك بصورة رسمية ومنهجية منذ مطلع الثمانينيات.

وتؤكد عديد من الدراسات أن إفراط النظام في توظيف النزعة العشائرية - المذهبية في المؤسسة العسكرية؛ قد أوقعه رهينة مجموعة متطرفة تمارس هذه التعديات عن عمد وسبق إصرار.

جر المنطقة إلى صراعات طائفية:

من الواضح أن هناك مخاطرَ عدة تضرب المنطقةَ كلَّها، حال عدم التوصل إلى حل شامل للمسألة السورية، وربما تتحول سوريا إلى ليبيا جديدة؛ فقوات حزب الله تحارب مع قوات الأسد، والجيش الحر يلوح بردٍّ قاسي على معاقل المليشيات الشيعية المسلحة في لبنان؛ مما يعني أن الحرب في سوريا قد تمتد لتشمل بعض دول المنطقة التي تعاني من الطائفية؛ مثل: العراق، وربما تتحول المنطقة إلى صراع سني - شيعي، يغذيه حلفاء الأسد، وهم إيران وحزب الله، في محاولة لتغيير الأوضاع في الدول المجاورة، خاصة العراق ولبنان؛ كي تعوِّض إيران خسارةَ حليفها الأسد حال سقوطه.

وسقوط الأسد وإقامة نظام معتدل سيكون بمثابة ضربة قاصمة لإيران، ومكسبًا كبيرًا للولايات المتحدة، وبطبيعة الحال تصبح إسرائيل

هي المستفيد الأكبر؛ لأن سقوط الأسد يعد خسارة كبيرة لحزب الله؛ مما يقوي الموقف الإسرائيلي في إجراء مفاوضات بالشروط الصِّهيونية مع الجانب الفلسطيني، وعليه؛ فإن البيت الأبيض مطالَبٌ بأن يعلن موقفًا أكثر فاعلية في التعامل مع الأزمة السورية، خاصة مع المكاسب السابقة التي يحقِّقها التحالف الصهيو أمريكي في منطقة الشرق الأوسط.

وعليها كذلك أن تضع حدًّا زمنيًّا للصراع في سوريا، وألا تكتفي بمد المعارضة بكل ما تحتاجه من أسلحة الدفاع والدعم الاستخباراتي؛ لأن طول أمد الصراع يصبُّ في مصلحة النظام السوري، الذي يحاول أن ينقل جبهة القتال إلى المنطقة بأسرها؛ حتى ينشغل العالم عن المذابح والعمليات العسكرية الانتقامية التي يشنُّها على المناطق المدنيَّة في سوريا، التي راح ضحيتها آلاف القتلى والمصابين، مع ضرورة الضغط على روسيا لرفع الغطاء العسكري والدبلوماسي عن نظام الأسد، والمشاركة في إنهاء الصراع وتوطيد أركان الدولة السورية الجديدة.

في هذه اللحظة المهمة، يتعين على موسكو الضغطُ على الأسد للدخول في مفاوضات لحل الأزمة، مقابل حصوله على ضمانات لعدم مثوله أمام المحكمة الجنائية الدولية، وهذا المقترح ترفضه المعارضة، وترى أن استمرارَ الصراع العسكري مع الأسد هو أفضل طريقة، لكن في الوقت نفسه استمرار الصراع يعني مزيدًا من الدمار والأرواح، بصورة تتطلب

ضرورة مساهمة المجتمع الدولي بمساعدات اقتصادية هائلة لإعادة إعمار الدولة السورية.

وللأسف الشديد، يتركز الموقف الأمريكي حول توفير المساعدات الإنسانية، والغطاء الدبلوماسي لجماعات المعارضة، في حين تزوِّد كلٌّ من روسيا وإيران نظامَ الأسد بأسلحة متطورة ومقاتلين؛ مما يعني أن تخليهما عنه لا بد أن يتم وَفْق صفقة سياسية كبرى، تشارك فيها كافة الأطراف الفاعلة في المنطقة، مثل: تركيا والمملكة العربية السعودية ومصر والأردن وجامعة الدول العربية، والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، تضمن إنهاء الصراع الداخلي في أسرع وقت.

وفي حال فشل الجهود الدبلوماسية الفاعلة، فلا بد من تشكيل قوات تحالف تشترك فيها كلُّ الأطراف السابقة، تكون مهمتُها القيامَ بتدريب عناصر المعارضة، وتزويدهم بالسلاح، وفي نفس الوقت يقوم حلف شمال الأطلنطي (الناتو) بشن عمليات جوية لتدمير قدرات النظام السوري، دون التورط في الدخول في عمليات عسكرية على الأرض مع مقاتلي الأسد، كما حدث في ليبيا.

قلق من نفوذ طهران

أكدت صحيفة الجارديان البريطانية ، أن الوجود الإيراني الغامض على الأرض السورية بدأ يتخذ أشكالاً أخرى غير التدخل العسكري المباشر، إنما وصل إلى حد شراء عقارات عدة وسط العاصمة دمشق، الأمر الذي يثير مخاوف السوريين ويفاقم من الحرب الطائفية.

ونقلت الصحيفة في تقرير عن دبلوماسي غربي أن التدخل الإيراني في سوريا يتجاوز حدود السفارة في دمشق، حيث قدمت طهران لنظام الأسد خلال الحرب المستمرة منذ أربعة أعوام، دعماً اقتصادياً وعسكرياً جعلها لاعباً بارزاً في تشكيل الأحداث فى سوريا، بما في ذلك الجهود الدولية لإيجاد حل لهذه الأزمة، فالنظام السوري يعتمد بشكل متزايد على إيران، ومن هذا الوجود يتعزز، وفق صحيفة القدس العربي.

ونقل إيان بلاك مراسل صحيفة الجارديان عن السفير الإيراني في دمشق محمد رضا شيباني قوله أن إيران ترفض تدخل الأجانب في الشأن السوري، مضيفاً علينا احترام السيادة الوطنية السورية وسلامة أراضيها.

وزعم شيباني أن بلاده لا تتدخل في النزاع السوري المحلي، مدعياً أن دور إيران لا يتجاوز تقديم الاستشارة للنظام السوري من أجل مكافحة الإرهاب، مضيفاً أنه من الطبيعي أن يظهر أثر هذه المشاورات

على الأرض، فالمستشارون العسكريون بحاجة لفهم واضح للوضع في ساحة المعركة، وهذا لا يعني أن لدينا جيشاً كبيراً في سوريا، ونحن لا نلعب دوراً مباشراً في القتال، وفق زعمه.

ولفت بلاك إلى أن السفارة الإيرانية في منطقة المزة بالعاصمة السورية مزودة بأجهزة إتصالات على سطحها وحمايات عسكرية حولها تعبر عن مدى التأثير الإيراني في سوريا.

ومع أن السفير الإيراني لم يقدم تفاصيل حول ما ستقدمه طهران للحل الدبلوماسي إلا أنه كان واضحاً في نقطة واحدة وهي أن الأسد هو خيار الشعب السوري،وفق زعمه، وهو الذي يختار الشخص الذي يريده، وليس لأحد الحق بالمطالبة برحيله، وفي الوقت الحالي فلا استبدال له حتى تتم هزيمة الإرهاب في سوريا.

وأن إيران بدأت تلعب دوراً مهما في تشكيل الأحداث على الأرض وربما الجهود الدولية لإنهاء النزاع، بسبب دعمها العسكري والاقتصادي لنظام الأسد.[1]

ولا يقتصر الخوف من النفوذ الإيراني على بعض المسؤولين في النظام ولكنه حاضر في أحاديث الدمشقيين العاديين الذين يتحدثون عن أراض

1- الدور الروسى فى الأزمة السورية ص 71-72

صودرت في المزة لإقامة مشروع سكني إيراني ومقر جديد للسفارة قريب من مركز العاصمة.

ويتحدثون عن شرائهم عقارات في مناطق حيوية، وعن سيطرة الإيرانيين على العقود التجارية، ففي العام الماضي كانت نسبة الصادرات من إيران تصل إلى 35% واليوم أصبحت العطاءات تمنح للإيرانيين فقط، ويشتكي سكان حي راق تم بيع سوريا للإيرانيين، وأضاف إنهم يسيطرون على كل شيء.

سوريا محافظة إيرانية

لم يطل الوقت كثيراً بالثورة الإيرانية حتى تحولت من دعوة دينية قامت على مبادئ جامعة وشعارات جذابة من نوع لا شيعية ولا سنية إسلامية إسلامية، إلى دولة طائفية تسعى إلى تحقيق مصالحها القومية ومصالح الفئة الحاكمة لها فكان أول ما انقلبت عليه مبدأ نصرة المستضعفين الذي تخصص له الحكومات الإيرانية حتى اليوم بنداً ثابتاً في الموازنة المالية العامة.

فقد قام الخميني بالتحالف مع حافظ الأسد جزار حماة في الثمانينيات من أجل الحفاظ على تحالف المصالح في وجه العدو العراقي لكليهما آنذاك أما اليوم فتبدو تناقضات السياسات الإيرانية مع مبادئها التي تدعيها جلية وواضحة لدى مقارنة مواقفها من الثورات العربية.

ففي حين قام المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي بتوجيه تحية لثورة ٢٥ يناير في رسالة وجهها للشعب المصري، ووصف الثورة المصرية بأنها صحوة إسلامية مستلهمة من روح الثورة الإسلامية الإيرانية، وعبر عن تأييده ودعمه لمطالب المحتجين في البحرين، فإنه لم يدخر جهدا لدعم مساعي النظام السوري في قمع الثورة السورية، بعد السعي الممنهج لشيطنتها وعزوها إلى مؤامرة خارجية تسعى للإطاحة بما يسمى محور الممانعة وبدأت جهود إيران في هذا الخصوص في العام الأول للثورة السورية بتقديم دعم المعلومات وتقديم الاستشارات المختصة والمستندة إلى الخبرات التي جمعتها إيران في قمع الاحتجاجات التي اجتاحت إيران في ٢٠٠٩، والتي تمت تسميتها بالثورة الخضراء حينذاك.

ثم قامت إيران بعد ذلك باستضافة معسكرات تدريب لتقديم التدريب العسكري والخبرات التنظيمية لعناصر الشبيحة والمتطوعين من أنصار النظام بهدف تحويلهم إلى مليشيات نظامية، أصبحت تشكل فيما بعد جيش الدفاع الوطني.

إلا أن انهيار القوى العسكرية للنظام السوري في منتصف عام ٢٠١٢ واقتراب كتائب الثوار من تطويق مدينة دمشق بشكل كامل، دفعا العديد من مراكز الأبحاث لتوقع انهيار النظام السوري خلال عام على الأكثر.

الأمر الذي انعكس في تتابع التصريحات السياسية للعديد من السياسيين الأوروبيين المنددة بالنظام والتي توقعت نهاية قريبة له لذلك قام العديد من الدول الأوروبية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع النظام السوري في تلك الفترة، كما كانت محفزاً للبدء في التحضير لمؤتمر جنيف الأول الذي انتهى بإصدار بيانه الختامي في ٣٠ يونيو ٢٠١٢، بينما كان النظام يعاني فيه من انكسار حاد.

في تلك الفترة، انتقلت الجهود الإيرانية إلى التدخل الميداني المباشر والموسع بشكل ممنهج فدفعت بحزب الله إلى دخول الساحة السورية، وكذلك عملت على إرسال قوات منظمة من المليشيات العراقية الشيعية أشهرها كان لواء أبو الفضل العباس وعصائب أهل الحق، وعملت أيضاً على تشكيل مليشيات جديدة من المتطوعين الشيعة القادمين من الأحياء الفقيرة في إيران أو من باكستان وأفغانستان.

كما وثقت عدة تقارير صحفية وتلفزيونية المشاركة المباشرة لبعض قادة الحرس الثوري الإيراني في توجيه المعارك ضد قوى المعارضة السورية أشهرها كان الفيلم الوثائقي الذي أعدته بي بي سي في شهر أكتوبر عام ٢٠١٣، الذي وثق مشاركة عناصر الحرس الثوري في معركة انتهت بمقتل الضابط في الحرس الثوري الإيراني إسماعيل حيدري في إحدى جبهات حلب.

استطاع التدخل الإيراني أن يغير ميزان القوى على الأرض ويوقف المد الجغرافي لقوى المعارضة المسلحة فقد قدرت أعداد العناصر الشيعية المسلحة التي استقدمتها إيران وحزب الله بحوالي ٣٠ إلى ٤٠ ألف مقاتل .

كما أنهم توفروا على خبرات وتدريب أفضل من ذلك المتوفر لعناصر الجيش السوري النظامي، مما جعلهم في الخطوط الأمامية للمعارك خاصة في ريف دمشق وفي معارك حلب. بينما أصبح الدور الأساسي للنظام السوري هو الإسناد الجوي والصاروخي، ثم عملية التطهير بعد انتهاء عملية الاقتحام.

وبالتالي استطاع النظام خلال عدة أشهر تجاوز أزمته العسكرية الحادة، وتمكن من استعادة العديد من المناطق الحيوية التي خسرها فيما مضى مثل القصير ويبرود، وأجزاء مهمة من مدينة حمص وريف حماة، وعدة مناطق من مدينة دمشق وريفها.

الأمر الذي انعكس بدوره على فتور النشاط السياسي الساعي للوصول إلى حلول سياسية في ظل هذه المعطيات حيث يراهن النظام وحلفاؤه على الوقت من أجل تغيير التوازنات السياسية واستعادة السيطرة تدريجياً على المناطق التي خرجت من تحت سيطرة النظام والجدير

بالذكر، أن الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله كان قد قال: إننا لو لم نتدخل لسقطت دمشق في أسبوع وكذلك فإن العديد من الجهات الإيرانية صرحت بأن الأسد باقٍ لأن إيران أرادت ذلك0

وآخر هذه التصريحات كان لعلي رضا زاكاني نائب في البرلمان الإيراني عن مدينة طهران، حيث قال في سبتمبر ٢٠١٤: لو تأخرنا في اتخاذ القرارات الحاسمة تجاه الأزمة السورية،ولم نتدخل عسكرياً لسقط النظام السوري منذ بداية انطلاق الثورة الأمر الذي أدى عملياً إلى سيطرة إيران على القرار الميداني والسياسي السوري كنتيجة مباشرة لارتباط استمراره بالتدخل الإيراني.

فعلى سبيل المثال، قام نظام الأسد بتزويد حزب الله بالدبابات كي يخوض الحزب في القصير أولى معاركه الحربية بهذا السلاح ثم استلم الحزب بعد ذلك إدارة المنطقة بين وادي خالد والقصير وجرود القلمون بشكل كامل، وأصبحت قرارته اليوم في تلك المنطقة مستقلة بشكل شبه كامل عن نظام الأسد كما أن المفاوضات حول الهدنة في حمص في مايو ٢٠١٤ جرت مع ضباط إيرانيين وليس مع النظام السوري.

وكذلك هناك العديد من المعطيات التي تؤكد أن النظام السوري لم يكن على علم بوجود الدورية التي استهدفتها إسرائيل في القنيطرة وكان

جهاد عماد مغنية أحد ضحاياها أي أن حزب الله والحرس الثوري الإيراني يتنقلون اليوم على طرفيْ الحدود السورية بدون أي أدنى اعتبار للسيادة السورية.

إيران استطاعت اليوم عبر أذرعتها العسكرية ومليشياتها الإقليمية تحويل النظام السوري إلى مليشيا طائفية تدير أجزاء من سوريا وتعمل في سياق تحقيق المصالح الإيرانية الكبرى الأمر الذي يبرر ويفسر تصريح المسؤول الإعلامي الإيراني مهدي طالب بأن سوريا هي المحافظة الـ٣٥ في إيران0[1]

1-الثورة السورية والقوى الدولية ص 105-114_أسامة عبد الرحمن0

الباب الخامس

نهاية الأزمة



الدعم العربي والدولي ضرورة:

إن زوال نظام بشار الأسد لن يكون المرحلة الأخيرة، لكنه سيكون بداية لمرحلة ثانية، تَرسم فيها القوى السياسية الصاعدة ملامحَ المستقبل، وتحافظ في الوقت نفسه على قوَّة ووَحدة الدولة الجديدة، دون اتِّباعها لسياسة تصفية أنصار النظام القديم، وهذا يتطلَّب أن يراقب المجتمع الدولي -وليس الولايات المتحدة وحدها كما حدَث في العراق أو أفغانستان تصرُّفاتِ النظام الجديد،وأن يَضمن تمتُّع كل الطوائف والمذاهب بحقوق ومسؤوليات متساوية، مع دعمٍ اقتصادي وعسكري للنظام الجديد؛ حتى تعود الدولة السورية إلى ما كانت عليه قبل بداية الاحتجاجات.

وسوريا لم تصل بعدُ لمرحلة تهديد المصالح الأمريكية؛ لذا تُحاول واشنطن أن تبقى على اتصال بالمعارضة، عن طريق تقديم دعمٍ عسكري يسيرٍ لها، لكن مع استمرار الحرب الأهلية الطائفية في سوريا، وانتقال عدوى تلك الحرب إلى الدول المجاورة، واستغلال إيران لظروف سوريا في تهديد المصالح الأمريكية والصِّهْيَونية، في هذه الحالة ستُجبَر الولايات المتحدة على التدخُّل في سوريا.

وتدخُّل كافة الأطراف الدولية والإقليمية والعربية ضرورة لحلِّ الأزمة السورية، بدلاً من طرْح مبادرات غير نافعة؛ إذ أثبت التدخل الأمريكي المنفرد فشَله في إدارة المرحلة الانتقالية، وأدَّى إلى حدوث مشكلات ومعوقات للتقدُّم الديمقراطي، وعدم حدوث تقدُّم يُذكر في الشؤون الأمنية والاقتصادية، بل أدَّى إلى تحوُّل كلٍّ من أفغانستان والعراق إلى بُؤَرٍ للصراعات والنزاعات الطائفية والمذهبيَّة.

والمؤكد أن سوريا بحاجة إلى دعمٍ دولي وعربي؛ سواء في المرحلة الحاليَّة، أو المستقبلية، فلا بد من تكثيف الضغوط على النظام السوري من أجْل وقف حمامات الدم وتخلِّيه عن السلطة، مع استمرار هذا الدعم للنظام الجديد، حتى تستقر الأمور؛ لأن الواقع على الأرض في الوقت الحالي يَجزم باستمرار الحرب الأهلية في البلاد، حتى بعد رحيل الأسد، ودخول سوريا في نفَقِ الأطماع الدولية والإقليمية؛ مما سيؤثِّر على مستقبل المنطقة بأسْرها.

ضرورة تسليح المعارضة:

هناك بعض المعضلات التي تعترض طريق وزير الخارجية الجديد، والتي تتمثل في عدم قدرته على إقناع روسيا بالعدول عن موقفها الداعم لنظام الأسد، وكذلك إقناع تركيا بأن واشنطن تريد تغيير نهجها للتوصل

إلى حل للصراع السوري الدائر منذ أكثر من عامين، ومع ذلك فإن الشركاءَ الأوروبيين يبدو أنهم ما زالوا متشككين في الموقف الأمريكي؛ حيث أعلنوا مؤخرًا رفضهم رفع الحظر المفروض على إمداد الجيش السوري الحر بالأسلحة،وهي الخطوة التي من شأنها إطالةُ أمد الصراع.

رئيس هيئة الأركان المشتركة للجيش السوري الحر سليم إدريس استنكر الموقف الأوروبي، مؤكدًا على حاجة الجيش الحر إلى أسلحة دفاعية وصواريخ مضادة للطائرات والدروع، مشددًا على أن هذه الأسلحة ستكون في أيدٍ أمينة على حد قوله.

وتثبت الاتجاهات الحالية للصراع في سوريا أن الولايات المتحدة مضطرة إلى العمل إلى نهاية المطاف بكل الوسائل؛ لإنهاء حكم بشار الأسد، خاصة أن قوات الأسد ما زالت على الأرض، وأن خطر استخدامه للأسلحة الكيماوية مازال يلوح في الأفق، وأن انهيار نظام الأسد ووصول هذه الأسلحة إلى يد بعض التنظيمات المتطرِّفة، يشكل خطرًا على النفوذ والمصالح الأمريكية في المنطقة.

وأفضل طريقة للخروج من المأزِق الحالي، هو أن تتولى الولايات المتحدة وبعض شركائها الأوروبيين والعرب القيامَ بمهمة تدريب قوات المعارضة وإمدادهم بأسلحة الدفاع الجوي، لكن التردد الأمريكي

والأوروبي في القيام بهذه المهمة يجعل من نجاح المعارضة في الإطاحة بالنظام السوري ضربًا من الخيال.

هذه ظروف تختلف تماماً عن ظروف لحظة تأسيس الجمهورية وواقع الحال اليوم ورغم أن هذه العملية التي ترمي إلى التغيير وتحريك المياه الراكدة في المجتمع الإيراني، تُقابل بمقاومة شديدة من القوى المضادة والمحافظة، إلا أن هذا الصراع سوف يتصاعد في المستقبل، ما لم يتغير البناء المؤسسي والدستوري في إيران، واتخاذ الوسائل الملائمة للتعامل معها، حتى يستطيع النظام الاستمرار والتكيف مع هذه التحديات دون ذلك سوف يواجه النظام الإيراني مأزقاً وجودياً.

إن التغيرات البنيوية، التي تواجه النظام السياسي الإيراني، فرضت على الأخير مواجهة مشكلات جديدة وغير مسبوقة، تختلف كلياً عن مرحلة تأسيس الجمهورية، فهي تتطلب أطر ومؤسسات متطورة ومختلفة قادرة على التعامل مع التحديات الموضوعية والمستجدات التي أفرزتها، حتى تكون الدولة تمثيلاً أميناً لموازين القوى في المجتمع وبقدر ما تثبت إيران قدرتها على مجابهة هذه التحديات، وكلما كانت السلطة في إيران قادرة على التعبير عن حركية المجتمع الإيراني، كانت سلطة شرعية .

حتمية سقوط النظام ونجاح الثورة

تأخُّر ردِّ الفعل الدوليِّ للتدخُّل في ليبيا، لا شيء قياساً على الوضع في سوريا، فقد توافرَتْ للمجتمع الدوليِّ جميعُ أسباب التدخُّل في سوريا، ولكن لم يحرِّك أحدٌ ساكنًا، ولعل السبب الهامّ المشترك بين جميع الثورات العربيَّة، هو أنَّها لا يُعرف ما سوف تتمخَّض عنه بعد نَجاحها، ومن الذي سوف يأتي للحكم، وهل سيكون امتدادًا للتبَعِيَّة الغربية، مُحافظاً على مصالحها في المنطقة، أو أنَّ الظاهر سوف يسود، ويصبح النِّظام الجديد إسلاميَّ الثياب،كما يُلحظ من الصِّراع الدائر بين الإسلاميِّين من ناحية، وبين العلمانيين والليبراليِّين وغيرهم من ناحيةٍ أخرى، وهو الوضع في مصر وتونس0

على الغرب أن ينتظر قبل أن يُلقِي بدولةٍ أخرى في هذا المَجال، وهو لا يَعْلَم العاقبة، أو يتدخَّل لتسيير الأمور بعكس اتِّجاه الثورة؛ إمَّا بالسيطرة عليها، أو بتحييدها وتَهْدئتها عن طريق الضغط على النِّظام، وإجراء إصلاحات قويَّة فعَّالة تُرْضي الثَّورة، أو بإحداث تَغْييرات في النِّظام يسترضي بها الثُّوار، أو بالقضاء على الثورة بأيِّ طريقة، ولو كانت على أَشْلاء جثث الأطفال والنِّساء والرجال.

تجاوز النظام السوريُّ جميع الحدود، وارتكب أبشع الجرائم والمَجازر في حقِّ شعبه، وما فعله القذافي في ليبيا لا يقارن بما فعله أسد سوريا تجاه الشعب، وهذا الوضع يُؤْذِن بالوصول إلى نقطة اللاَّعودة، كما أشار أحد الخبراء الرُّوس، فهذه الجرائم والمَجازر والفظائع المرتكَبة لن تولِّد سوى موجاتٍ تصاعديَّة من الاحتجاجات والثورة، وستقود حتمتً إمَّا إلى سقوط نظام الأسد،وإما إلى زيادة مُمارسة التنكيل الجماعيِّ ضد السكان، بما يعني إرغامَ الغرب والمجتمع الدوليِّ على إزالة هذا النظام؛ حسب السيناريو الليبِي ولكن تَكْمن المشكلة في الوضع الإقليميِّ المعقَّد لسوريا، حتى كتب كريس دويل في صحيفة ذي جارديان البريطانيَّة: إنَّ الغرب لا يعرف ماذا يفعل، ولا كيف يتدخَّل، ولا مع من يتَّصِل؟ وفوق كلِّ ذلك لم يَدْعُه أحدٌ بعدُ للتدخل فالنِّظام السوريُّ قد استغلَّ موقعه الإستراتيجيَّ الهام، ليس فقط بالنسبة للغرب وإسرائيل، بل بالنسبة للعالَم، ولا سيَّما العالم الإسلامي، فسوريا هي سوريا الشام، حيث يقع جزءٌ كبير منها في المنطقة التي تعرف في عقيدة المسلمين، وفي تاريخهم باسم الشَّام، وفضائلها أكثر وأشهر من أن نُذَكِّر بها، وأهَمُّها كونها المكان الذي يَحْتضن الطائفة المنصورة التي تُجاهد إلى قيام الساعة.

sharif mahmoud

أولاً: هناك العلاقة الإستراتيجيَّة القوية مع إيران، وهي علاقة مصيريَّة في المشروع الصَّفوي الإيراني، ومن ثمَّ كان التواجد الإيراني المفضوح في سوريا، مشاركةً في عمليات القمع والإبادة، وتأييد إيران لسوريا مطلق، وحزب الله ذراع إيران في لبنان، يمثِّل ما يشبَّه الحكومة الواحدة مع سوريا، ولدى إيران الآن دافعٌ أقوى من ذي قبل لاتِّخاذ موقف أشدَّ قوة في مُناصرة سوريا، بعد الصدمة القوية التي تلقَّوهَا من المارد السُّني، تحديدًا في البحرين، كما وصفه موقع المسلم بأنَّه أول مسمار في نَعْش المشروع الصَّفوي.

وثانيًا: العلاقة الإستراتيجيَّة مع تركيا؛ لأنَّ سوريا بالنسبة لتركيا تمثِّل عمقًا إستراتيجيًّا لا يُستهان به، ناهيك عن المصالح الاقتصاديَّة والثقافية والدبلوماسية والأمنية الكثيرة المشتركة، وقد قامت تركيا بِمُحاولات كثيرة، وقدَّمَت مبادرات تِلْو المبادرات لحلِّ الأزمة، ولكن التَّصاعد الدموي ضدَّ الثورة جعلها تنتقل إلى التحذيرات، فالتهديدات بالتدخُّل العسكري، وموقفها الآن أقوى، لا سيَّما بعد نجاح حزب العدالة في الانتخابات، وتركيا ليس لديها المشكلة الغربيَّة مع النِّظام الجديد، والتخوُّف منه، اعتمادًا على أن سوريا أغلبيَّة سُنِّية، تقرب من الـ 90%! ولو فُرِض حدوث تدخُّل أجنبي في سوريا فإنه مرشَّح أن يكون من جانب تركيا.

sharif mahmoud

وثالثًا: علاقة الأرجوحة مع إسرائيل، فعلاقة العداء الظاهرة بينهما، ما هي إلاَّ توازنات ومصالح، وأوراق ضغط من قِبَل النظام السُّوري، فليس له في حدِّ ذاته مشكلةٌ مع إسرائيل، ما دام باقياً في سُلْطته، وإلاَّ فالنظام منذ حرب 1973م لم يتوجَّه بطلقة تجاه إسرائيل، ولم يَقُم بحركةٍ من أجل تحرير الجولان، ولم تحدث عمليَّة جهاد ضد الاحتلال الصِّهيوني، مع أن النظام يسمِّي نفسه نظام النِّضال ومشاركته في عرقلة الانتفاضة والمقاومة معروفةٌ0

لكن إسرائيل لها مشكلة مع سوريا؛ نتيجةَ علاقتها مع إيران من جهةٍ، وعلاقتها كذلك مع حزب الله في لبنان، واحتضانها لحماس قبل المُصالحة والمقاومة الفلسطينيَّة من جهة ثانيةٍ، بما يعني أنَّ حدوث تدخُّل أجنبي في سوريا، يُنْذِر بفوضى عارمة في المنطقة، تضرُّ حتمًا بأمن إسرائيل، فالنِّظام السوريُّ على أي حالٍ يمثِّل صمام أمنٍ لإسرائيل في المنطقة، حتَّى إن الصحف الصِّهيونية خرجَتْ تقول: إنَّ تل أبيب تصلِّي للرب أن يَحْفظ بشار الأسد، وتل أبيب ستَشْتاق إلى الديكتاتور السوريِّ في حال رحيله ولن تَسْتطيع إسرائيل فقدان جبهةٍ جديدة أمنية، لا سيَّما بعد ما حدث في مصر.

لذا تأمل إسرائيل تحقيق المعادلة الصعبة الإبقاء على النِّظام السوري، مع فكِّ الارتباط بين سوريا والجهات التي تتقوَّى بها، لا سيَّما إيران

وحزب الله؛ من أجل أن تنفرد بقيادتها للسيطرة عليها، وهي معادلة صعبة المنال، تُشْبِه الحلم.

ورابعًا: علاقة سوريا بدولٍ كبرى، مثل روسيا والصين، اللَّتان تَقِفان حجر عثرةٍ أمام التدخُّل الدولي في سوريا، وتُهدِّدان بالفيتو ضد أيِّ قرار يدينها،أو يُؤْذِن بتدخُّل،بسبب العلاقات الاقتصاديَّة والعسكرية الوثيقة بينهما وبين سوريا، لا سيما مع روسيا.

خامساً: ما تمخَّض عنه التدخُّل الدولي في ليبيا، الذي لم يُسْفِر عن إسقاط النظام الليبِي أو قتله، أو حتى تقديم دعم حقيقيٍّ للثُّوار، وكل ذلك يَقدِرُ عليه المجتمعُ الدولي، لكنَّها المصالح والأطماع التي بدَت الآن واضحةً للعيان0

وهو ما دفَع دُولاً، مثل: البرازيل وجنوب أفريقيا إلى إبداء معارضة لتدخُّل مُشابِهٍ في سوريا، مع إبداء معارضة لأيِّ قرار يصدر من الأمم المتحدة لإدانة سوريا،برغم وضوح جرائم النظام السوريِّ وفظائعه، وما يصنعه بشعبه حتى قبل الأحداث، والذي حدا بمجلة نيوزويك الأمريكيَّة أن تصف سوريا بأنَّها جمهورية الخوف، حيث يعيش السُّوريون منذ عقود طويلة في ظلِّ قانون الطوارئ والمراقبة المستمرَّة.

سادسًا: كلٌّ مِن الداخل السُّوري، والعالَم العربي والإسلامي، يرفضان التدخُّل الأجنبيَّ، مع كون البعض ربما يحبِّذ تدخُّلَ تركيا دون المجتمع الدَّولي؛ ثقةً في عدم وجود أطماع تركيَّة في سوريا بِمِثل الأطماع الغربية، مع توجُّهات حزب العدالة التركي الإسلامية أما العالم العربيُّ والإسلامي، فلن نتعرَّض للحديث عنه؛ لأنه ليس هناك ما يمكن الحديث عنه سوى الشَّجب والاستنكار، والتصريحات التي لا يُراد بها سوى حفظ ماء الوجه أمَّا الداخل السُّوري فهم على تخوُّف من التدخل ألا يُؤْتِي ثماره كالمعتاد؛ لأنَّه لا يخدم إلاَّ مصالح الغرب وإسرائيل، الأهم من ذلك أن السُّوريِّين قطعوا شوطًا طويلاً عظيماً ضدَّ هذا النظام الغاشم، ووصلوا إلى مرحلة اللاَّعودة، فقد انتفضَتْ جمهورية الخوف، وطالبت بتغيير النِّظام، وواجهت آلات القمع والوحشيَّة، والدبابات والطائرات، واستمرَّت على الصمود وخِذْلان النظام، حتى افتضح أمره في الأوساط والمحافل الدولية، واكتسبت الثورة مكاسب عدة، ليس أهمها التأييد الدولي أو العربي أو الإسلامي، ولكن استيقاظ هذا الشَّعب، وانتفاضته ضد الظُّلم والطغيان؛ كي يكون عبرةً لِمَن يأتي بعده، وهكذا سيراً على خطِّ الانتفاضات الإسلاميَّة في عالَمِنا الجديد، التي ستضع محدّداته في الزمن القريب والأمر كما ذكرَتْ د. ليلى بيومي في مقالها نجاح الثورة بأيدي السوريِّين أنفسهم: وفي النِّهاية فإن نجاح الثورة السوريَّة مرهون بقوة

إرادة السوريِّين أنفسهم، وطول نفَسِهم وصبرهم، وباشتراك القطاعات التي لم تشتركْ في الثورة حتَّى الآن؛ فالمعارضة السُّورية ما زالت لم تنخرطْ بالشَّكل المطلوب في الثورة، والتنسيق بينها غير موجود، وما زالت قطاعات من المثقَّفين والنخبة خائفة ومرتعشة، ولن تنجح الثورة إلاَّ إذا وصلت إلى الكتلة الحَرِجة، وهي اشتراك نسبةٍ لا تقلُّ عن 20% من السُّوريين بشكلٍ كامل في الثورة، وهو الدَّرس المستخلَص من الثورة المصريَّة وتحقيق هذا النَّجاح في أيدي السُّوريين هو النِّهاية المُثْلى لهذه المعضلة، وهي رغبة تُواجه عقبات حقيقيَّة فعلية وقوية، رغبة تصطدم بالمصالح الغربية وأذنابهم كافَّة، في عالَمِنا المحيط، وخلاصة القول هي رغبة الشُّرفاء، لا سيَّما من المسلمين.

كيف نتجنب سقوط سوريا؟

نشَر معهد بروكنجز الأمريكي للأبحاث دراسة بعنوان أو سقوط سوريا كيف يمكن تجنُّبه،تلقي الضوء على واقع الصراع العسكري القائم بين الجيش النظامي التابع لبشار والجيش السوري الحر، والأخطار التي تهدِّد الدولة السورية في المستقبل وتُشير إلى أن قوات الأسد ترتكِب مذابح جماعيَّة ضد المواطنين المدنيِّين، في الوقت الذي تُعاني المعارضة من نقْص الموارد وغياب التنسيق فيما بينها، علاوة على غياب الاتفاق على شكل الدولة السورية بعد سقوط بشار، مؤكدةً أن الحرب الأهلية

الدائرة حاليًّا قد تتحوَّل إلى صراع طائفي وديني بين الفصائل السورية بعد انهيار النظام، مضيفةً أن قادة المعارَضة لا يتمتَّعون بخلفيات سياسية تؤهِّلهم لمَلء الفراغ بعد سقوط النظام، وإدارة المرحلة الانتقالية والوضع الإنساني في سوريا حسَب تقارير المنظمات الدولية يُنذِر بعواقب وخيمة، خاصة في ظل ارتفاع أعداد اللاجئين والمهاجرين في الأردن ولبنان وتركيا، والمقدَّر بحوالي 300 ألف لاجئ، علاوة على الأوضاع المأساوية في حلب ودمشق، مع توقُّعات بوصول هذا العدد إلى 700 ألف لاجئ خلال الشهور المقبِلة ولا شكَّ أن الأزمة السورية تلقي بظِلالها على الأوضاع في العراق وتركيا، مع إمكانية انفِجار صراع طائفي، خاصة بين السنة والشيعة في العراق ولبنان، خاصة مع التحاق عناصر من شيعة العراق للقتال مع قوات الأسد، كما أن حزب العمال الكردستاني يستخدم الأراضي السورية عناصر من الحزب تُقاتِل مع الأسد لشنِّ هجمات على الحدود التركية، خاصة منطقة اللاجئين السوريين؛ مما قد يؤدي إلى حدوث مواجهات بين سوريا ودول الجوار.

وقد يؤدي هذا الوضع المتشابك والمعقَّد إلى تدخُّل الجيش التركي في الأزمة السورية، وهو ما قد يشكِّل غطاءً لتدخل دولي، خاصة أن مصادر في حلف شمال الأطلنطي أشارت إلى وجود اتِّفاق داخل الحلف لإقامة منطقة حظر طيران ومناطق آمنة في سوريا.

sharif mahmoud

ومن ثَم فإن الوضع في سوريا يؤثِّر بصورة كبيرة على الأوضاع الجيوستراتيجية في المنطقة، التي قد تتحوَّل بين عشيَّة وضحاها إلى فوضى عارمة، حال سقوط الأسد، وهو الوضع الذي ستحاول إيران الاستفادة منه عبر خلاياها الموجودة في سوريا للحفاظ على مصالحها ونفوذها في سوريا الجديدة ولا شكَّ أن الأزمة السورية تمثِّل معضِلة كبيرة لصنَّاع القرار في أوروبا وأمريكا؛ فالرئيس أوباما وشركاؤه الأوربيون لم يُقدِّموا جهوداً ملموسة لوضع حد لحالة الاقتتال الداخلي مع فشَل المساعي الدبلوماسية وسط التعنُّت الروسي والصيني مكتفين بالتأكيد على أن استِخدام الأسد للأسلحة الكيماوية خط أحمر.

وتبقى المساعدات التي تقدِّمها قطر وتركيا للمعارضة السورية محدودة التأثير، بالنظر إلى حالة الانشقاق التي تضرِب صفوفها، فهناك الجيش السوري الحر وعدد من التنظيمات المسلَّحة الأخرى؛ مثل أحرار الشام في حلب، وجبهة التحرير السوري، ومجلس أمناء الثورة، وغيرها، وهو ما يعكِس حالة الاختلاف الأيديولوجي بين هذه التنظيمات التي فشلت محاولات عدة في التوفيق فيما بينها، والانضواء تحت لواء واحد، حيث ينذِر هذا الوضع بعواقب كارثية في حال سقوط النظام، ورغبة كافة هذه التنظيمات في لعب دور في العملية السياسية في الفترة الانتقالية.

وبدلاً من العمل على تحقيق هدفهم الأساسي في القضاء على نظام بشار، دخلت المعارضة السورية في معارك داخلية فيما بينها، خاصة بعد إعلان تشكيل مجلس أمناء الثورة السورية الذي اعتبَره العقيد رياض الأسعد قائد الجيش السوري الحر بمثابة محاولة لتحقيق مكاسب سياسية وتقسيم المعارضة والاستفادة من الثورة.

محاور الخروج من الأزمة:

تؤكِّد مؤشرات على الأرض على بداية الانهيار الفعلي لنظام الأسد وفقْده السيطرة على معظم الأراضي السورية، لكن المعارضة ما زالت بحاجة إلى توحيد صفوفها وتسليح عناصرها؛ حتى تحتفِظ بمكاسبها ولا تتعرَّض لانتِكاسة،ربما تضيع ما أنجزته من نجاح خلال الفترة الماضية وعلاوة على ضَعْف إمكانيات المعارضة السورية، فهناك خلاف حادٌّ يعتري موقف القوى الدولية من الثورة السورية، فروسيا تمنح الأسد غطاءً دوليًّا وتعزِّز قواته بقدرات عسكرية وتِقنية هائلة، والولايات المتحدة ما زالت متردِّدة بصورة كبيرة في تقديم الدعم الفعلي للمعارَضة، لتعكس هذه المعطيات إمكانية بقاء الوضع المزري في سوريا لفترة طويلة وتؤكِّد الدراسة على ضرورة أن تقوم الولايات المتحدة والدول الأوروبية ودول الجوار بدور رئيس على عدة محاور، أبرزها:

1- توحيد الشعب السوري حول مشروع وطني لإعادة بناء البلاد: وأن تُقدِّم الأطراف الدولية والإقليمية كلَّ الدعم للمعارضة السورية، دعم فني وعسكري ولوجستي غير محدود حتى تستطيع هزيمة النظام السوري، وبناء الدولة الجديدة، مع تكريس قواعد الديمقراطية والحكم الرشيد.

2- العمل على دمْج العناصر المنشقة من الجيش النظامي والشرطة في منظومة متكاملة لحماية الثورة السورية من انشقاقات المستقبل.

3- تشكيل لجان دولية معترَف بها من أجل التوصل إلى حل دائم لمشكلة أكراد سوريا، بما يحافظ على وحدة الدولة السورية، وعدم تحول البلاد إلى مستنقع من الحرب الطائفية بعد سقوط النظام، وتنسيق الجهود بين كافة الفصائل السورية للاتِّفاق على شكل الحكم الديمقراطي وخارطة طريق المرحلة الانتقالية.

وضرورى ان تتِّخذ القوى الدولية والإقليمية قرارات صعبة في تلك الفترة العصيبة،تتعلَّق بالعمل الجاد وبكل الوسائل الممكِنة لتسريع سقوط النظام السوري،والعمل مع فصائل المعارضة على إدارة المرحلة الانتقالية بشكل يحافظ على وحدة الأراضي السورية، وبناء سوريا الجديدة مع المحافظة على الحقوق والحريات لكافة الطوائف.

إن سقوط النظام السوري سيكون أول اختبار حقيقي للقوى الداخلية والخارجية، لا سيَّما أن زوال نظام الأسد وما يَستتبِعه من سقوط لقوات الجيش النظامي والشرطة، تستوجِب على جميع الأطراف الدولية أن تدعَم المعارضة السورية لبسْط نفوذها على كافة الأراضي السورية؛ حتى لا تتحوَّل البلاد إلى ما يُشبِه وضْع العراق عام 2003م بعد سقوط نظام صدام حسين.

متى وكيف تنتهى الحرب فى سوريا؟

نشر معهد بروكنجز للدراسات والأبحاث، القريب من دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة، مؤخرًا - دراسة بعنوان: أو متى وكيف تنتهي الحرب في سوريا؟؛ من تأليف كينث بولاك.

تقول الدراسة إن التسمية الصحيحة لما يحدث في سوريا هي حرب أهلية تدور رحاها بين الجيش الوطني الحر وجماعات المعارضة، وقوات بشار الأسد، مشيراً إلى أن سوريا في تلك اللحظة تختلف كثيراً عن مصر وتونس،وتتشابه في مآلاتها مع ما حدَث في أفغانستان والبلقان والكونغو، لكن السؤال الأهم هو: كيف يمكن وقف نزيف الدم الذي تشهده سوريا، والذي يروح ضحيَّته يوميًّا مئات القتلى من المدنيين؟ سِمة الحروب الأهلية أن خسارة أي طرفٍ لا يعني أن الأمور

تعود إلى الاستقرار، بل تظلُّ الحرب دائرة مع مؤيدي وأنصار الطرف الخاسر؛ مما يتطلَّب تدخُّل طرفٍ ثالث يُنهي الصراع بين الطرفين، ويتولَّى إدارة مرحلة انتقالية تضع أولويَّات التحول الديمقراطي وإعادة بناء مؤسسات الدولة من جديد، وهذا الخيار يحمل تكلفة سياسية هو الآخر،لاسيما أن تدخُّل طرف خارجي في صراعات داخلية، غالباً ما يؤدي إلى نتائجَ غير مرغوبة.

الحل الأفضل للحالة السورية هو المفاوضات بين الثوَّار والنظام في سوريا، والتي تَضمن تنحِّي القيادة السورية عن السلطة، وتشكيل مجلس يمثِّل كافة طوائف الشعب السوري؛لوضْع خارطة طريق لسوريا الجديدة، وهذا الخيار تبنَّاه المجتمع الدولي؛ عن طريق تعيين كوفي عنان مبعوثاً للأمم المتحدة في سوريا، لكن مهمته تعرَّضت للفشل، خاصة مع إخفاق مجلس الأمن الدولي -طبقًا لتوازُنات ومصالح أعضائه في الاتفاق على مجموعة من الإجراءات من شأنها تكثيفُ الضغوط على النظام السوري.

وتُشير الدراسة إلى أن الموقف الأمريكي ملتبس في الحالة السورية، رغم تأكُّده من الدعم الروسي الواضح لنظام بشار، وعدم قَبول أطراف عديدة سواء في الداخل أو الخارج فكرة تطبيق النموذج اليمني في البلاد، لاسيما أن نظام الأسد لا يَطرح بجديَّة مسألة الانتقال السلمي للسلطة عن طريق تنحِّي بشار؛ لأنه يُدرك أن مصيره لن يختلف عن

مصير مجرم الحرب رادوفان كارادزيتش والأخطر في المسألة السورية أن تنحّي أو هروب الأسد خارج البلاد، لا يعني انتهاء الحرب أو دخول سوريا إلى مرحلة انتقالية يُعاد فيها ترتيب البيت السوري من الداخل، أو حتى دخولها مرحلة الاستقرار الشكلي؛ إذ إن الطائفة العلَوية ستحاول بكل الوسائل أن يستمرَّ الصراع، ليس من أجل نظام الأسد؛ لكن من أجل الحفاظ على ما تتمتَّع به من مميزات داخل المجتمع، وبالتالي فمن المحتمل أن تقوم بتعيين خليفة لبشار يواصل الحرب ضد الثوَّار.

وكان الرئيس الأمريكي أوباما أكَّد منذ البداية على ضرورة تنحي بشار الأسد، كما أشارت العديد من التقارير الإعلامية إلى تقديم واشنطن دعمًا سريًّا للمعارضة السورية، لكن هذا الدعم لم يَضمن لها التفوق على القوات السورية التي تحوَّلت منذ بداية الصراع إلى ميليشيات مسلحة تابعة للطائفة العلَوية والموقف الأمريكي الرافض للتدخل العسكري على غرار ما حدَث في ليبيا، ينطلق من عدد من الاعتبارات، أوَّلها عدم تهديد سوريا للمصالح الأمريكية الحيوية في منطقة الشرق الأوسط، خاصة المرتبطة بالنفط، فسوريا ليس لديها مخزون هائل من البترول، كما أنها ليستْ شريكًا تجاريًّا لواشنطن، وهذا ما جعل واشنطن تغضُّ الطرف عن المذابح التي يرتكبها النظام السوري ضد شعبه، هذه المذابح التي لم تحرِّك مشاعر واشنطن ما دام الأمر لا يمسُّ مصالحَها

في المنطقة لكن ما زال النظام السوري يمتلك قدرات عسكرية استطاع بها وقْف زحْفِ الجيش السوري الحُر إلى دمشق، ونجح في تحقيق بعض التفوُّق الميداني على الأرض، في الوقت الذي لا يزيد فيه تسلُّح الثوار عن أسلحة خفيفة وقنابل يدوية الصُّنع.

هذا الفارق الشاسع بين قدرات الجانبين، إضافة إلى الدعم الإيراني والروسي لنظام الأسد يؤكِّد طول أمَد الحرب، ومزيدًا من الخراب والدمار في البلاد، وسقوط مزيد من القتلى؛ سواء في صفوف قوَّات النظام، أو المواطنين المدنيين، كما هو الحال في حلب وداريا وغيرهما وفي حالة سيطرة الثوار على معظم المدن السورية، فمن الممكن أن تَلجأ الطائفة العلَوية إلى الأماكن النائية والساحل الغربي؛ لتُمارس منها عمليَّاتها ضد النظام الجديد، وحينها قد تتحوَّل سوريا إلى أفغانستان جديدة.

إيران جزء من الحل

يؤكد خبير الشرق الأوسط ومدير معهد الدراسات السياسية والأمنية في برلين فولكر بيرتيس، أن إيران جزء من الأزمة في سوريا وأن لديها تأثير واضح على الحكومة في دمشق لذلك،كان من الضروري السماح لوفد إيراني بالمشاركة في مؤتمر السلام في سويسرا لأن طهران جزء من المشكلة ولابد أن تكون جزءاً من الحل أيضاً.

كما أبدت إيران رغبة في التوسط في الحرب الدائرة في سوريا والمشاركة في مؤتمر السلام وقال وزير الخارجية الإيراني محمد جواد إذا كان لدى كل الأطراف رغبة في التوصل إلى حل عملي للأزمة السورية فمن المفروض إشراك إيران في المؤتمر وطالبت الحكومة السورية بمشاركة وفد إيراني في مؤتمر السلام حول سوريا وحسب وكالة الأنباء السورية الرسمية سانا فإن وزير الخارجية السوري قال أنه ليس من المنطقي غياب إيران عن هذا المؤتمر.

السعودية والأمم المتحدة ومشاركة إيران:

تعتبر السعودية والولايات المتحدة الأمريكية من أكثر الدول معارضة لمشاركة إيران في مؤتمر السلام حول سوريا فكما يؤكد الخبير السياسي بيرتيس السعودية عازمة على الإطاحة بنظام الأسد وتهدف السعودية على غرار إيران إلى الاستفادة من الحرب السورية من أجل تعزيز مكانتها في الشرق الأوسط لذلك يخوض البلدان حرباً بالوكالة في سوريا كما تؤيد الأمم المتحدة مشاركة إيران في مؤتمر السلام حول سوريا وهو ما أكده شخصياً أمينها العام بان كي مون بقوله إيران يمكنها أن تلعب دوراً مهماً بهذا الخصوص، فهي قوة إقليمية مهمة فمشاركتها منطقية وعملية وواقعية ويخلص الخبيران السياسيان ماير وبيرتس إلى أنه رغم الاختلافات بين إيران وغيرها من الدول، فإنها جميعها تشترك

في هدف واحد هو عدم السماح للمجموعات الإسلامية المتشددة في سوريا بتحقيق مزيد من المكاسب وانطلاقاً من ذلك فإن إيران والسعودية وأمريكا وروسيا وأوروبا تواجه عدواً مشتركاً، وهذا ما قد يزيد من حظوظ إيران في المشاركة في مؤتمر السلام المقبل حول سوريا.

إيران فى سوريا المستقبل:

على الرغم من وجود إيران في المعسكر السوري - الروسي، فإن طهران تريد أن تشكل لنفسها معادلة خاصة، تتفاعل في إطارها مع اللاعبين الرئيسيين في المسألة السورية، بما في ذلك روسيا فقبل اكتمال الربع الأول من العام الجاري 2016، انتهجت روسيا سلوكاً لا يرضي إيران كثيرا، من ذلك: التعاون مع الإسرائيليين والأكراد، والدعوة لتسمية حكومة جديدة وهنا، ظهر التناقض الإيراني - الروسي بشكل فج وصارخ، من خلال استهداف طهران الإبقاء على الرئيس السوري، بشار الأسد، إلي أجل غير مسمي على رأس السلطة، ومن ثم السعي نحو إلحاق هزيمة كاملة بالمعارضة السورية، وبكل من يحارب تحالفات بشار الأسد، وليس التوصل إلي حلول وسط وهنا، كان على إيران أن تعمل وفق خطة تمكنها أولاً من الحفاظ على ما تبقي من سيطرة بشار الأسد على الأراضي السورية، ثم البحث عن نافذة لها على المتوسط، وبالتالي يمكنها بعد ذلك تحرير الأراضي التي تم الاستحواذ عليها بواسطة الجيش

sharif mahmoud

السوري الحر وتشكيلاته، وجيش الفتح، وجيش الإسلام، وتنظيم الدولة، وجبهة النصرة.

في سبتمبر 2015، قال الرئيس السوري بشار الأسد إنه سيعمل على الحفاظ على منطقة سوريا المفيدة ويبدو من هذا الاصطلاح القديم - الجديد الذي استخدمه بشار الأسد أنه مدفوع برغبة إيران في التشبث بما تبقي للقوات الموالية لبشار من أراض في غرب سوريا، مما يعني أن إيران رسمت لنفسها موقعاً مغايراً في مستقبل سوريا، سواء في المدي القريب، أو المتوسط، أو البعيد، وهو ما يمكن تمييزه فيما يأتي:

1- المدي القريب: الحفاظ على الأراضي السورية موحدة وغير مقسمة، ومواجهة أية دعوات من شأنها إعطاء حقوق أو وعود انفصالية، خاصة للأقلية الكردية التي تعمل مع القوات الروسية، ومن ثم إيجاد منفذ على البحر المتوسط يمكنها من الذهاب إلي إسرائيل بحراً.

2- المدي المتوسط: العمل من خلال سوريا المفيدة ككتلة جغرافية تفاوضية، يمكن من خلالها التوصل إلي الأفضليات الممكنة، خاصة تلك التي تتعلق بالفترة الانتقالية المفضية إلي رحيل بشار الأسد، خاصة أن روسيا ضغطت من أجل إشراك إيران في مفاوضات جنيف الخاصة بتسوية الأزمة السورية.

3- المدي البعيد: منع روسيا من التمدد والسيطرة على العراق، الذي تمتلك فيه إيران نفوذاً سياسياً منفرداً، إلي جانب كون العراق ثاني أكبر مستورد للبضائع الإيرانية، بعد الصين، فضلاً عن رأس مال النفط الناتج عن بيع 150 ألف برميل نفط يومياً، واعتماد طهران على بغداد كحائط صد أمام الإجماع العربي في المحافل الإقليمية وعلى هذا الأساس، يظهر لإيران موقع بارز في مستقبل سوريا في كل الاحتمالات، سواء برحيل بشار الأسد، أو بقائه، لأنه من خلال الحفاظ على منطقة سوريا المفيدة، تتمكن إيران من التفاوض بارتياح حول وضعها في سوريا، ومن ثم في الملفات العربية السائلة باليمن، ولبنان، والعراق لذلك، ليس غريباً أن تشكل سوريا لإيران أهمية استراتيجية تفوق أهمية أراضي الأحواز.

<u>العلاقات الايرانية السورية.. أي مستقبل!</u>

إن اللجوء إلى فرض مزيد من الضغوط الدولية ضد دمشق، دفع طهران إلى توجيه رسالة امنية تحذيرية عبر تسيير قطعها البحرية في البحر الأحمر في تكرار للرسالة التي حملتها هذه القطع بعد سقوط النظام المصري، ومرورها في قناة السويس، وصولاً الى مياه البحر الابيض المتوسط وقد ساهم سقوط القذافي في إتاحة الفرصة للدول التي تتصدر العملية العسكرية للناتو في ليبيا للتفرغ من جديد، وان تركز جهودها على الوضع السوري اما بفرض سلسلة من التنازلات والاصلاحات على

النظام ورئيسه، واما للتفكير بممارسة ضغوط عسكرية والتلويح بتدخل مباشر لقوات الناتو عبر حليفها التركي الذي يبدو في الآونة الأخيرة، كثير التردد في مسألة التدخل العسكري المباشر أو حتى اللجوء إلى فرض منطقة أمنية عازلة على الحدود المشتركة، خوفاً من خسارة الشعبية التي حققها بين شعوب العالم الاسلامي، اضافة إلى تعقيدات أخرى فالتطورات التي شهدتها المناطق الكردية في تركيا مؤخراً، والعمليات العسكرية التي قام بها الجيش التركي ضد تجمعات لعناصر من حزب العمال الكردستاني، والتحركات السياسية والاجتماعات الشعبية والبرلمانية التي قام بها نواب أكراد في البرلمان التركي في مناطقهم الكردية، أخرجت رئيس الوزراء التركي عن رباطة جأشه، ودفعته لتهديد هؤلاء النواب بإجراء عقابي مستخدماً سيف الجيش الذي بالكاد استطاع تقليص هيمنته على الحياة السياسية التركية، وأخرجه من دائرة التأثير المباشر، مشدداً على أن الجيش سيتصدى لأي تحرك انفصالي سياسي تقوم به الأطراف السياسية الكردية، أو تحرك تخريبي تقوم به جماعات حزب العمال الكردستاني.

أهم المصادر والمراجع

1- مارين خليفة، حلف إيراني - روسي بمباركة أمريكية لتجاوز المأزق السوري، صحيفة السفير اللبنانية، 30 سبتمبر 20150

2- مارينا أوتاوي،العراق: حكم مشترك (أمريكي - إيراني) مضطرب.

3- مدافع آيات الله، محمد حسنين هيكل.

4- العرب السنة في العراق- مؤلفون.

5- عدد من الصحف منها (الجارديان - الشرق الأوسط - واشنطن بوست - الجزيرة الإنجليزية - بي بي سي- رويترز- آفاق برلمانية - جريدة المستقبل- بيروت)

6- متطلبات الإصلاح في العالم العربي-أحمد يوسف أحمد وآخرون0

7- في الثورة - أرندت حنة -ترجمةعطا عبد الوهاب.

8- نحو قراءة عربية للتاريخ- فؤاد إفرام البستاني ،منجد الطلاب.

9- في الثورة والقابلية للثورة - بشارة عزمي .

10- إستراتيجية سلطة الإستبداد في مواجهة الثورة السورية - برقاوي أحمد وآخرون.

11- علم الاجتماع السياسي -برو فيليب ،ترجمة:محمد عرب صاصيلا.

12- مسارات السلطة والمعارضة في سوريا- نهار حازم .

13-الثورات العربية الجديدة- ولد أباه السيد.

14-حركات الاحتجاج العربية الجديدة- السقا أباهر .

15-دور إيران في المنطقة العربية- ناجي محمد عباس.